(خلق الله الكون، قبة الفلك دائمًا تدور، وتناسقت أرتال النجوم. وغطى الليل بنفسه النهار).

من هنا يمكن أن نخلص إلى أن ما جاء في الآيات القرآنية الكريمة، كان معروفًا بشكل جيد في القرن الخامس، وساعدت في تحضير التربة لظهور الأغاني الشعبية حول موضوع نشأة الكون وفق الدين الإسلامي.

٠٢ الحكايات :

جمّع كتاب "ديوان لغات الترك" مواد غنية حول الروايات والحكايات الأكثر شعبية لدى القبائل التركية في القرن الخامس، وهناك الكثير من الحكايات التي تفسر ظهور أسماء الأماكن الجغرافية، وكذلك الحكايات التاريخية التي تحاول تفسير أسماء الأفخاذ والقبائل. ففي شرحه لكلمة "بوقاق" (مرض تضخم الغدة الدرقية) ووصفها على أنها "تضخم ونمو الغدة الدرقية"، يورد المؤلف الحكاية التالية عن أصل هذا المرض: "تعرض الكثيرون في مدينتي فرغانة وشيني لهذا المرض، وراح ينتقل من الأهل إلى الأبناء. ووصل تضخم الغدة عند البعض إلى حد أنه لم يعد باستطاعتهم تقويم ظهورهم، وعندما سألت بعضهم عن سبب هذا المرض أجابوا: يقال إن أجدادنا كانوا من الكافرين، وكانوا يملكون صوتًا قويًا كالرعد، وقد حاربوا الصحابة بقوى كبيرة، وهم يصرخون وينادونهم في كل مكان،

الشهيرة عند القبائل التركية وهذا نتيجة التأثير المباشر للحكايات والروايات الإسلامية؛ فلكي يبين مثلاً معنى كلمة "بَسْرق" (الثقل) يورد المؤلف المثل التالي الذي يحوي هذه الكلمة:

يِرْ بَسْرُقي تاغ

بذون بسرقي باك

(ترتكز الأرض على ثقل الجبال، ويرتكز الشعب على بكواته، أي "أن الجبال تحمي الأرض ويحمي البكوات الشعب ويؤمنون له السلام"، لأنهم يرشدونه إلى الطريق الصحيح)[١٧]. فقد جاء في الآية الكريمة العاشرة من سورة لقمان المباركة: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ﴾.

يمكن تحديد معاني كتاب محمود كاشغري "ديوان لغات الترك" والمكانة التي يحتلها في الأدب الإسلامي الأوزبكي بما يلي:

أ - "ديوان لغات الترك" مُؤَلَّف موسوعة، يعطي معلومات شاملة عن لغات الأفخاذ والقبائل التركية التي عاشت في القرن الخامس، وعن عاداتها وتقاليدها ونهجها الحياتي وإبداعها الفولكلوري وعن إيمانها الديني.

ب - بعد اعتناق الإسلام واختيار الصراط المستقيم في آسيا الوسطى، بدأت التقاليد الأدبية التي كانت سائدة حتى ذلك الحين تتأثر بعلاقاتها المباشرة بالأدب العربي

فاعترى الخوف والاضطراب المسلمين بسبب أصواتهم المرعدة.

٣. الأحاديث النبوية:

تعرض محمود كاشغري في مؤلفه إلى الأحاديث الشريفة المنقولة عن النبي محمد ﷺ. وبهدف تفسير بعض الكلمات قام أحيانًا بإيراد أمثلة شعبية تتلاءم مع الحديث الشريف الذي يشرح، فمثلاً كي يشرح كلمة "تل" (اللسان) يورد المؤلف المثل الشعبي "إردام باشي تل"[١٤] (رأس الفضائل حفظ اللسان) هذا المثل الشعبي يتوافق مع الأحاديث الشريفة التي تتحدث عن ضرورة صون اللسان، والتلفظ بالكلمات الفاضلة فقط، وأن اللسان منارة العقل.

٤. الحكم والأمثال:

يحوي "ديوان لغات الترك" أيضًا مجموعة من الأمثال الشعبية[١٥]، ويؤكد مؤلف الكتاب هذا بنفسه فيقول: "لقد زينت هذا الكتاب بمجموعة من الحكم والسجع والأمثال السائرة والأغاني، وكذلك مقتطفات أدبية مما يسمى بالرجز والنثر الفني، ورتبتها وفق الأحرف الأبجدية"[١٦].

وخلال عرضه للأمثال السائرة التي تعكس طريقة حياة الشعوب التركية، قام محمود كاشغري أحيانًا بمقارنة هذه الأمثال بالأمثال العربية والأحاديث الشريفة والآيات الكريمة، محاولاً بذلك التعمق في معاني الأمثال والحكم الشعبية، ومن الطبيعي أن نجد عددًا من الأمثال

"المعرفة المباركة".

اعتمد مؤلف هذا الكتاب، الذي ركز فيه بشكل أساسي على الأدب والتهذيب، والدعاية للقواعد الأخلاقية، على أفكار وقواعد التعاليم الإسلامية، وذلك كي يتمكن من تحقيق هدفه الأدبي والإبداعي؛ ونتيجة لذلك ظهر إلى النور أثر رائع باللغة التركية الأوزبكية جمع بين صفحاته العقائد الدنيوية والدينية.

ألف الكتاب بين عامي ٤٦٢- ٤٦٣هـ (١٠٦٩- ١٠٧٠م) وضم ٦٥٠٠ بيت من الشعر، وهو يحتل مركزًا مرموقًا بين الكتب التهذيبية الإرشادية، التي كتبت في ذلك العصر مثل "سياسة نامه" (١٠٧٧)، لنظام الملك، و"قابوس نامه" (١٠٨٢) لكيكاووس. وتؤكد السطور التي سنوردها هنا، وهي من مقدمة "قوتادغو بيليك"، هذه الفكرة:

"... إننا نقدر هذا الكتاب، وقد كتب على أساس أمثال حكماء الصين، وزين بأشعار حكماء الهند الصينية، وأجمع علماء وحكماء الهند الصينية، سواء كانوا في ولايات الشرق أو في أصقاع تركستان، أجمعوا على أن أحدًا لم يؤلف أفضل من هذا الكتاب، وقد أجمعوا على الاعتراف بأهميته، وقاموا بتسميته كل على طريقته، فسمي في الصين "أدب الملوك"، وسماه ولاة عهد الهند الصينية "عين المملكة"، وسمي في المشرق "زينة العلماء"، وسماه الإيرانيون

والمصادر الإسلامية، ويمكن ملاحظة التأثير الإيجابي للتعاليم الإسلامية على تقاليد الأدب التركي بشكل واضح في نصوص كتاب "ديوان لغات الترك".

ج - يعد "ديوان لغات الترك" مصدرًا وثائقيًا حمل بعضًا من التحاليل التاريخية لنشأة الفولكلور الأوزبكي وتكونه، تحت التأثير الملحمي للأدب العربي الإسلامي.

٢- يوسف خاص الحاجب وكتابه "قوتادغو بيليك" المعرفة المباركة:

تفيد المصادر التاريخية أن سلالة القراخانيين عززت وضعها السياسي والاجتماعي في النصف الثاني من القرن الخامس، وامتدت دولتهم على مساحات شاسعة من قاشغر حتى بحر قزوين، وأصبحت أهم مدنهم: سمرقند، وأوزكند، وبلاسغون وقاشغر في تلك الحقبة.

وبالرغم من أن القراخانيين استعملوا في سلطنتهم نظامًا متطورًا لإدارة السلطة، إلا أن بعض الأمراء من بين زعماء إيليك خان في بعض المناطق لم يجمعوا على وحدة الانصياع للحاكم الأعلى تابغاتشي خان؛ لهذا السبب كانت تحصل بينهم صراعات ومناوشات، ولكي يتم وضع حد لهذه الصراعات والمناوشات، ولتحسين نظام الحكم في البلاد، كان من الضروري وضع قانون يحدد العلاقات بينهم، أي أنه كان من الضروري وضع قانون عام (موسوعة) لخدمة هذا الهدف. وهكذا قام يوسف خاص الحاجب بوضع مؤلفه:

القويم بالنسبة للشعوب التركية في تلك الحقبة، وهذا ما يؤكد التأثير الفعلي للقرآن الكريم، وإذا ما جاء التفسير منقوصًا أو ضعيفًا، فقد جرى شرح مدلول الكلمات بواسطة الآيات القرآنية الشريفة، مما يؤكد مرة أخرى واقع العلاقة الوطيدة بين الطبقات الدنيوية والطبقات الدينية في الأدب الإسلامي الأوزبكي.

إن تاريخ الدراسات العقيمة للأدب الأوزبكي، عن طريق الفصل بين جناحيه، يبين الواقع الذي مر بنا خلال السنوات غير المجيدة الماضية؛ ولذا يجب علينا في حاضرنا ومستقبلنا أن ندرس في أبحاثنا تأثير القرآن الكريم والحديث النبوي[٢١].

لقد قام فعلاً مؤلف كتاب "قوتادغو بيليك" في كتابه بتحليل أدبي للكثير من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة التي تعود مصادرها إلى القرآن الكريم، ولقد وردت الأفكار الإسلامية الأساسية في كتاب يوسف خاص الحاجب بشكل طبيعي، وهو يدعو في كتابه لعبادة الله عز وجل، وعدم ترك طريق الدين والشريعة ولو للحظة واحدة[٢٢].

كما يدعو يوسف خاص الحاجب الناس ليكونوا صادقين، وعفيفين، ويدعو لاحترام العدالة والحفاظ على التواضع - للحصول عبر كل هذا على رحمة الله عز وجل، وهو ينظر إلى الكون كعمل من أعمال الله تعالى، ويقول في ذلك:

"تاريخ ملوك الترك"، أما الآخرون فسموه "مواعظ الملوك"، وفي طوران سمي "قوتادغوبيليك" (المعرفة المباركة)[١٨].

وقد درس علماء الأدب العالمي والأوزبكي بشكل مفصل كثيرًا من الأسئلة حول تاريخ تأليف "المعرفة المباركة" وصيغ مخطوطاتها ومواضيعها وأنماط أشعارها وخصائصها الأدبية واللغوية وعن علاقتها بالتراث الأدبي الشعبي[١٩].

ومن المعروف أن كتاب "المعرفة المباركة" استعمل في الأدبية الأصلية آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، إضافة إلى مثل وقيم الدين الإسلامي مثل الشرف والكرم والصبر والحلم والتهذيب واحترام الأبوين، وتمجيد الخالق، وبالرغم من هذا لم يحصل كتاب "قوتادغو بيليك" في أيام الحكم السوفياتي على الاعتراف والتقييم الحقيقي في الأوساط الأدبية الأوزبكية، لأنه اعتبر من النماذج الأدبية الدينية - الإسلامية، وبعد حصول أوزبكستان على استقلالها أصبح من الممكن إبداء الرأي بحرية حول جوهر كتاب يوسف خاص الحاجب الإسلامي، والحديث عن مكان الآيات الشريفة ودورها في هذا الكتاب.

ومن البدايات الطيبة، على وجه الخصوص، كان بحث حميد الله كراماتوف، المكرس لشرح المواضيع القرآنية في جوهرة الأدب الأوزبكي القديم - قوتادغو بيليك (المعرفة المباركة)[٢٠]. ويؤكد هذا العالم أن المواضيع القرآنية في هذا الأثر الأدبي كانت تمثل التوجه

الآيات الثلاث الأولى لفاتحة القرآن الكريم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ومع الكثير من الآيات الأخرى التي تمجد الخالق[٢٥].

وفي مقدمة القسم الشعري من كتابه يصف يوسف خاص الحاجب بمهارة أدبية قوة وعظمة الخالق، وأن هذه الخصائص هي من خصائص الله وحده، الله الذي يرزق كل حي على وجه الأرض:

الله وحده القادر، وهو الأول

كل المجد له، وكل الحمد

هو القهار العظيم، هو صاحب الجلالة

الخالق، البنَّاء، كامل في كل شيء

رب الشعوب ورب السموات ورب الأرض

هو الذي منحك قوت يومك

فكل منه وابتهج واشكر ربك[٢٦]

يستعمل يوسف خاص الحاجب لدى طرحه لأفكاره الأدبية بشكل مثمر قصص الأنبياء ممن ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وكذلك يستعمل المصادر الإسلامية، ويقوم مؤلف الكتاب بإدخال الشخصيات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في مُؤلَّفه بشكل فني رائع؛ والسطور التي نوردها هنا خير دليل على ذلك:

"خلق دولاب المصير، الذي يدور دائمًا

ومعه كل شيء يدور

خلق السماء الزرقاء والنجوم

وخلق الليل الدامس والنهار

البعض عالٍ، والبعض واطئ

البعض ساطع، والبعض خفيف السطوع"[٢٣]

في هذه السطور ينقل يوسف خاص الحاجب معنى الآيات الشريفة ٢٧- ٢٩ من سورة النَّازعات المباركة: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾.

إن دوران الفلك الدائم، وتتابع الليل والنهار والأجرام السماوية ومواقع الكواكب والنجوم (القريبة والبعيدة) إنما تشهد على قوة الإبداع العجيبة للخالق عز وجل.

وفي مقدمة كتاب "قوتادغو بيليك" يحمد المؤلف الخالق العظيم فيقول: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله العلي العظيم، الملك القادر، الذي خلق السموات والغذاء وقوتنا اليومية، والذي نفذ إرادته وخلق ما أراد"[٢٤].

هذه المقدمة تعد تقليدًا في الأدب الإسلامي الأوزبكي، وكما أشار، عن حق، الباحث حميد الله كراماتوف، تتناسب المقدمة مع

في البيت الثاني استعمل المؤلف نموذج الإسكندر ذي القرنين (المقدوني)، الذي قهر العالم أجمع، ومن المعروف أنه جاء في الآية ٨٣ الشريفة من سورة الكهف المباركة: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنْ ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَاتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ وتسرد الآيات الشريفة اللاحقة حكاية الإسكندر ذي القرنين، ساعدت في نشأة عدد كبير من الموضوعات القومية في الأدب الإسلامي الأوزبكي؛ فمثلاً يستخدم علي شير نوائي هذا المصدر القرآني المهم والقصص التي ظهرت على أساسه، في قصيدته "جدار الإسكندر"، واعتمد يوسف خاص الحاجب على جوهر الآية ٨٤ الشريفة من سورة الكهف المباركة، لتكوين نموذجه عن ذي القرنين. تقول الآية ٨٤ الشريفة: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾.

وقد جاء معنى هذه الآية الشريفة في بيت يوسف خاص الحاجب "حكمت العالم أنا، كما الإسكندر".

في الجزء الثاني من هذا البيت، ولدى رسمه لنموذج نوح، عليه السلام، اعتمد المؤلف على النظرة الإسلامية حول الحياة الطويلة لهذا النبي[٣٠].

عاش النبي نوح عليه السلام حياة طويلة بالنسبة إلى الأنبياء الآخرين؛ وذلك لأنه عد هذا العالم "فاصلاً بين مرحلتين"، من هذا المنطلق أصبح النبي نوح عليه السلام نموذجًا من الشعر الإسلامي

أقول: أخسرو أصبحت أنا أم قيصر

أم أنا مثل شدّاد أو مثل عاد فتحت جنة

حكمت العالم أنا، كما الإسكندر

وعشت سِني نوح كاملة، أكلت شربت

أنا، أنا حيدر وسيفه - البرّاق

أم أنا رستم البطل، الشهير في العالم

أم أن ثروتي زادت عن حدها كثروة قارون

أم أني بنيت مدينة من حديد كأصحاب الرس[٢٧]

يمكن أن نلاحظ، في كل بيت من هذه الأبيات تأثير القصص القرآني، فشداد مثلاً، وفقًا لشرح ربغوزي، عاش في أيام يعقوب عليه السلام، وهو ابن حاكم عملاق، وقد داخله ريب بقدرة الله فحلم بإقامة الجنة على الأرض، وجاء في كتاب "قصص ربغوزي" عن ذلك ما يلي: "جاء عن بعض علماء الدين أنه كان لعاد ابن باسم شداد، بنى جنة على الأرض، لكن مصيره عاكسه ولم يعش فيها"[٢٨].

رغب شداد في العيش في الجنة في هذا العالم، فبنى مدينة إرم الرائعة، ولهذا لعن أبناء عاد، وهذا ما أشارت إليه الآيات ٦- ٨ الشريفة من سورة الفجر المباركة: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَادِ ﴾.

المعارك مع المشركين في سبيل نشر الدين الإسلامي، وقد تحدثت المصادر الإسلامية مرارًا عن هذه البطولات، وهناك شهادات أخرى تفيد أن تعبير "السيف - البراق" له علاقة مباشرة مع سيف الإمام علي "ذو الفقار"، ويشرح دليل "الإسلام" الصادر باللغة الأوزبكية معنى تعبير "ذو الفقار" على أنه "البتار، الحاد، القاتل"[٣١].

وتعطي بعض المصادر تعبير "ذو الفقار" أيضًا معنى "العمود الفقري"؛ لأن وسط السيف كان محجرًا، ويُذكِّر بفقرات "العمود الفقري"، ويصور السيف على أنه كان حادًا من الجهتين[٣٢].

وفي البيت اللاحق يذكر اسم الوثني البخيل قارون، الذي عاش في أيام فرعون، قضى قارون حياته في جمع المال، وبالرغم من جمعه لثروة هائلة، إلا أنه قضى نحبه كافرًا، محرومًا من رحمة الله تعالى. وهذه الحكاية مأخوذة من آيات القرآن الكريم.

في أبيات يوسف خاص الحاجب التي سبق ذكرها استعمل أحد الفنون الشعرية المعروف بفن "التلميح"، هذا الفن الذي أغنى كثيرًا الأدب الإسلامي الأوزبكي، ومن المعروف أن كلمة التلميح في اللغة العربية تعني لمح البرق (لمح البرق أي لمع)، وكذلك اختلاس النظر أو الإبصار بنظر خفيف، وهذه الطريقة في الشعر الكلاسيكي تعد واحدة من الطرق الأكثر استعمالاً في الأدب الروحي[٣٣].

وعادة يلجأ الشاعر إلى فن التلميح بهدف خلق انطباع فني قوي للواقع الفعلي الذي يقوم بالتعبير عنه وعن خلاصته العميقة،

الأوزبكي للتعبير عن الحياة الشريفة واللائقة عندما يجري الوعظ والحديث عن فكرة الحياة في العالم الآخر وأهمية إمساك النفس أمام إغراءات هذا العالم الفاني.

ذكر الباحث ت. خوجايف أن شعراء النصف الأول من القرن التاسع، اعتمدوا في إبداعهم الشعري عند تصوير نموذج النبي نوح عليه السلام، على القصة الإسلامية للطوفان وحياة نوح عليه السلام الطويلة، وعلى أساس هذا النهج الأدبي ساد تعبير "عمر نوح"، وانعكست هاتان الظاهرتان: "الطوفان وعمر نوح المديد" في غزليات الشعراء الكلاسيكيين: سكاكي، وعطائي، ودُربك، ولطفي وحافظي الخوارزمي.

إن استعمال يوسف خاص الحاجب في مؤلفه لتعبير "وعشت سِنِي نوح كاملة" إنما يؤكد أن هذا التعبير الأدبي عن "عمر نوح" واستعماله كنهج أدبي كان شائعًا ابتداء من القرن الخامس.

كما أنه من المعروف أن شخصية حيدر تمثل خليفة المسلمين الرابع الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وقد استعملت شخصية حيدر في آداب الشعوب التركية في ما وراء النهر بهذا المعنى بالذات، ويرى بطل قصيدة يوسف خاص الحاجب نفسه في شخصية "حيدر وسيفه - البراق" ويعني تعبير "السيف - البراق" هنا سيف الإمام علي الشهير "ذو الفقار"، لقد أظهر الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه مع سيفه الحاد اللامع كالبرق شجاعة لا تضاهى في

والوفاق واتفاق الآراء، كتب يوسف خاص الحاجب عن هذه العادة، وعن معاني التحية والرد عليها (السلام عليك) في حياة الناس، وعن الشروط والقواعد الضرورية عند القاء التحية فقال:

"السلام" - طريق السَّلامة للناس

وبقولهم "السلام" يحققون كل الغايات

"السلام" للإنسان سلام وهناء

وبطرح السلام يلقى النعيم والطمأنينة

العظيم من يسبق الصغير بالسلام

وبسلامه ينهي كل الأعمـــال

السلامة والعافية بانتظار طارح السلام

ويهنأ من يرد السلام بـ"عليك السلام"[٣٥]

هذه السطور تجـد أصولها في الأحـاديث الشريفـة التي يشرح على أساسهـا يوسف خاص الحاجب للناس، بلغة واضحـة، الأهمية الكبرى لالقاء التحية بين الناس بكلمة "السلام".

إن التحـيات المتـبادلة بين الكـبار والصغـار بكلمـة "السلام" والحفاظ على العلاقات الصادقة بين الناس الطيبين، تساعد على حسن المعاملة بين الناس وتزيد من رتـبتهم عند الله تعالى، وهذا مـا تحدث عنه كثيراً في أشعاره يوسف خاص الحاجب كما سبق وذكرنا أعلاه.

وحسب تعريف عالم الأدب ف. رحمانوف، فإن الأديب، باستعماله لفن التلميح، يسعى لتحقيق الأهداف التالية:

١- يقوم الكاتب بالتذكير بشخصية خرافية، أدبية وتاريخية ذات خصائص إيجابية، ثم يرسم على أساسها نموذج بطل قصيدته.

٢- يقوم بالتذكير بالشخصيات السلبية، ثم يرسم على أساسها شخصياته السلبية.

٣- يرسم خصائص بطله عن طريق وصف أفضل خصائص الأبطال الإيجابيين المشهورين[٣٤].

ولكي يحقق يوسف خاص الحاجب سمو أفكاره الأدبية، أو لكي يحقق، بالأحرى، إمكانية إيصال القارئ إلى الجوهر الشعري لمفاهيم، مثل قواعد الدين الإسلامي، والإنسانية، والمعرفة، والاستقامة، والعدالة والخير، فإنه قد استعمل طريقة الوصف الجلي للأنبياء والشخصيات الشهيرة والتاريخية، التي أتى على ذكرها القرآن الكريم.

يحوي كتاب "قوتادغو بيليك" كثيرًا من الأشعار التي نظمت على أساس الأحاديث الشريفة للنبي محمد ﷺ، فمن المعروف أن الناس عند تحية بعضهم البعض يلفظون كلمة "السلام" وهذه العادة من أقدم العادات الإسلامية، ويوجد عند الأوزبك مثل يقول: "رأس الكلام - السلام" لأن لفظ هذه الكلمة يعني الالتزام بالعادة القديمة في التعبير عن الاحترام المتبادل بين الناس ويعبر عن الصدق الداخلي،

تفسد الكثير من الأعمال بعد شرب الخمر

ويظهر الكثير من الأعمال السيئة

أين يسكن الشر، تهرب السعادة بعيدًا

والشر يقضي على عمل السيد مرة وإلى الأبد

لا يشرب الخمر، من يمسك نفسه

فتغمره السعادة ويُمنح القوة[٣٧]

وبالعكس من ذلك فعدم تعاطي الخمور يحمي النفس من الشر والمكائد والدسائس ويضمن الأخلاق العالية والكمال، وكتب شاعر عصور الازدهار الذي وعى جيدا هذه الحقائق فقال إن "من يمسك نفسه يحصل على السعادة والقوة"، وبهذه الطريقة يميز يوسف خاص الحاجب بين الورع والإثم في الدين الإسلامي، وتمكن من التعبير عنهما بقوة أدبية عميقة في مؤلفه سابق الذكر.

٣- أحمد يُغناكي ومؤلفه "هبة الحقائق":

كتب أحمد يُغناكي "هبة الحقائق" في القرن السادس، ويعد "هبة الحقائق" أثرًا أدبيًا ضخمًا ذا طابع تهذيبي، وقد كتبه بهدف تفسير عدد من المسائل والقضايا الاجتماعية والسياسية والنفسية والروحية والأخلاقية على أساس تعاليم الدين الإسلامي.

ولد الأديب أحمد في مدينة يُغناك التي تقع في مناطق تركستان في بلاد ما وراء النهر[٣٨]، وقد ذكر علي شيرنوائي في كتابه "نسائم المحبة" عن هذا الأديب المبدع ما يلي: "يرجع الأديب أحمد في نسبه

وقد التزم يوسف خاص الحاجب بما ورد في الأحاديث النبوية، وساهم مساهمة فعالة في أدب المواعظ بفضل شرحه للنصوص الدينية باللغة التركية، من المعروف أن الدين الإسلامي حرَّم الخمر وأشار إلى ضرر هذه العادة ليس فقط من الناحية المادية، وإنما من الناحية الروحية أيضًا، إذ أنها شر يقضي على تطور الإنسان الجسدي والروحي.

في كتاب "الجامع الصحيح" للبخاري وفي بداية الجزء الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: "قال رسول الله ﷺ[٣٦] لا يشرب الخمر شاربها حين يشربها وهو مؤمن".

إذًا إن شرب الخمر يبعد المسلم المؤمن عن الإيمان، فالخمر عادة سيئة تشد صاحبها إلى الكفر والإلحاد، لهذا السبب شرح يوسف خاص الحاجب الأخلاق الإسلامية وقواعد التربية، وتوقف بشكل خاص عند مضار تعاطي الخمور ونتائجها السلبية، فقال:

لا ينفع شرب الخمر وعمل الشر

فالسعادة في هذه العادات بعيدًا تفر

لا تشرب الخمر، أيها السكير، عبد فمه النهم

فشرب الخمر - سير على طريق الفقر

فإذا كان السكير وضيعًا، يخسر خيراته

وإذا كان السكير سيدًا، يموت شعبه

إن وجود الكون الواسع وروعته والكائنات الحية وطريقة عيشها في الطبيعة كل هذا يدل على عظمة الخالق، كتب أحمد يغناكي يقول:

"إن الطبيعة الحية والجامدة

كل زاحف وكل طائر وكل كائن

يشهد بوجودك"

إن كل الأشياء وكل الظواهر في الكون تبرهن من حيث جوهرها على وجود الخالق وعلى عظمته وقوته اللا محدودة، ولهذا يظهر أحمد يغناكي هذه الحقيقة بطريقته الأدبية فيقول:

"في داخل كل شيء يحيط بنا

يمكن إيجاد ألف برهان على وجودك"

يؤمن أحمد يُغناكي بأن الله خلق سلالة البشر وأنه لا حيلولة دون الموت، لذلك فالموت حق، والله تعالى سيحيي الموتى يوم القيامة، وفي هذا يرى حكمة الله تعالى.

يوجد في مستهل "هبة الحقائق" أيضًا أبيات في مدح رسول الله محمد ﷺ:

"أسمع الآن شعري عن كرامة النبي

وانصت إلى أبياتي بعقلك وفؤادك"

إلى النسب التركي ويقال إنه جمع في كتابه "هبة الحقائق" مواعظ نادرة وأقوالاً مأثورة، وقيل إنه كان أعمى، لكن أخلاقه وصفاته كانت ساطعة متألقة" وبالرغم من أنه ولد أعمى البصر إلا أن الله ملأ قلبه وروحه بنور البصيرة[٣٩].

إن موقع مدينة يغناك، موطن أحمد، في غرب تركستان، وتشابه خصائص مُؤَلَّف يغناكي اللغوية لغة التشيغيل، والايغور، والياغمو والقارلوق، الذين اندمجوا لاحقًا في تركيبة الشعب الأوزبكي، ووقوف هذا المُؤَلَّف، من حيث محتواه الفكري في صف واحد مع الآثار الأدبية الكبيرة مثل "المعرفة المباركة"، و"ديوان الحكمة"، و"خيرة الأبرار" يعطينا الحق بالقول بأن "هبة الحقائق" هو واحد من أول نماذج الأدب الأوزبكي.

وتجدر الإشارة إلى أن الكثير من الدراسات الأدبية الخاصة تناولت في أبحاثها بشكل مفصل ومعمق مسائل البحث عن مخطوطات هذا المؤَلَّف، وتواريخ دراسته، وعدد نُسخه، وموضوعاته وخصائصه الأدبية[٤٠].

وقد عرض الأديب أحمد بُغناكي للموضوعات التربوية والأخلاقية في مُؤَلَّفه انطلاقًا من التعاليم الدينية الإسلامية، ويبدأ الكتاب بحمد الله وهو تقليد أدبي يتبع في ذلك العصر.

الهي، المجد والحمد لك

وقبل كل شيء آمل برحمتك[٤١]

الجهل، ولا يود ترك هذا العالم دون تخليد اسمه وتحقيق المجد، عليه أن يسعى إلى دراسة العلوم. ويشبه الكاتب أحمد يغناكي الجهلاء من الناس بالعظم الذي لا يحوي مخاً في داخله، أي بالعظم الفارغ الذي لا فائدة منه:

"كما العظم يحوي لبّه

كذلك الإنسان يجب أن يحوي المعرفة

التي تزين الرجال الحقيقيين"

ثم يتابع أحمد يغناكي هذه الفكرة فيؤكد قائلاً:

"الإنسان بلا معرفة، كالعظم الفارغ، وبلا محتوى والعظم الذي لا يحوي لبًا، لا تمتد إليه الأيادي"(٤٣).

هذا هو الواقع فعلاً، فالمعرفة تزين الإنسان، وقد حظي رجال العلم بالاحترام دائمًا بين الناس، ويقول أحمد يغناكي إن الكسل عيب وإن الله تعالى يهدي المعرفة لعباده المخلصين ويمنحهم بذلك السعادة، ويبرهن الكاتب على ذلك:

"كن عالمًا ومثقفًا، ولا تتكاسل أبدًا في طلب العلم، وقد قال رسول الله ﷺ حقًا ما معناه أن على الناس احترام وتمجيد أصحاب العلم والمعرفة"(٤٤).

وفي الجزء الثاني من مؤلَّف أحمد يغناكي المسمى: "إمساك اللسان وحشمة الأدب" يعبر الكاتب بشكل أدبي رائع عن الفكرة التي

يصف أحمد يغناكي رسول الله ﷺ بأنه "الأكثر حظًا وسعادة بين كل الناس الطيبين".

وحقًا فإن رسولنا ﷺ هو أفضل خلق الله ليس فقط بين البشر، وإنما هو أيضًا الأكثر سعادة واحترامًا ومجدًا بين أنبياء الله؛ فمجرد ذكر اسمه ﷺ يبعث في قلوب الناس الراحة والهناء:

حين أبدأ بمدحه، أشعر فورًا بالنعيم

وحين أجيء على ذكره، أحس بطعم الشهد على لساني

ثم يتابع أحمد يغناكي قائلاً:

"بما أني أحقق أحلام حياتي، فكل حمدي وثنائي في يوم الآخرة أوجهه لمن يشفع لي"[٤١].

وهذا غلوّ مذموم، وشرك بالله تعالى لأن الحمد لله وحده، والثناء كله لله رب العالمين، ولرسول الله ﷺ المحبة والتوقير والاحترام اللائق به، مع طاعته واتباعه، بأبي وأمي، ﷺ.

إلى جانب ذلك يمدح المؤلّف في مستهل الكتاب أيضًا الخلفاء الراشدين الأربعة.

وتتوافق تركيبة "هبة الحقائق" ومقدمات كل جزء من أجزائه مع أفكار المؤلّف الأدبية؛ ففي الجزء الأول المكرس لفوائد العلوم وفساد الجهل، يقول المؤلف إن المعرفة هبة الله، تفتح أمام الإنسان طريق السعادة، وإن على كل إنسان يرغب في عدم الوقوع في مستنقع

فطور فكرته الأدبية قائلاً:

" يقول رسول الله ﷺ بأن لسانك عدوك

فأمسك به واحم من النار نفسك "(٤٧)

يستخلص من هذا البيت أن عذاب النار بانتظار الكاذبين والمنافقين.

وعن معاذ أن رسول الله ﷺ قال: "رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد" ثم قال: "ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه وقال: كفّ عليك هذا، قلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به، قال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم"(٤٨).

وجاء القسم الثالث من الكتاب تحت عنوان: "النفع الثالث في تقلب الدنيا وتغيرات أحوالها"، وفيه يشبه الكاتب حال الدنيا باستراحة القوافل على الطريق فيقول:

"هذا العالم مثل استراحة القوافل

يرتاح فيها المسافر ثم يتابع طريقه "(٤٩)

يذكرنا هذا البيت بحديث رسول الله ﷺ الذي روي عن عبد الله بن عمر قال: "أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت

مؤادها أنه لكي يكون الإنسان متأدبًا عليه أن يهتم بلسانه، فكلامه يجب أن يكون صادقًا وصادرًا بعد تفكير، وعليه أن يتجنب مهما كانت النتائج سقط الكلام، ويشبه أحمد يغناكي كلمة الصدق بالعسل والكذب بالثوم:

"كلمة الصدق كالعسل، والكذب كالثوم

وآكل العسل أفضل من آكل الثوم"

يدعو الأديب الشاعر أحمد يغناكي الناس إلى الصدق، ويؤلف أبياتًا تتوافق في معناها مع المثل الشعبي الأوزبكي الذي يقول: "الكلمة الطيبة غذاء الروح":

"كلام الكذب مرض، والصدق شفاء

وعن هذا تحدث المثل"[٤٥].

إن الكذب والغش رذيلة تعود بالعذاب على أصحابها في الآخرة، وقد جاء في حديث لرسول الله محمد ﷺ أن للمنافق ثلاث خصائص "آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان[٤٦]".

نستخلص من كل هذا أن على الإنسان كي ينجو من عذاب الآخرة أن يقول الحق دائمًا، وأن يهتم بكلامه ويمسك لسانه في الوقت المناسب، وقد انطلق الأديب أحمد يغناكي من جوهر حديث رسول الله ﷺ الذي معناه أن لسان الإنسان يلقي به في هاوية النار،

عن حكيم بن حزام قال قال رسول الله ﷺ اليد العليا خير من اليد السفلى[٥٤].

والجزء الرابع من هذا الكتاب، يحوي مناقشة حول النتائج المميتة للطمع وفوائد الكرم، ويحمل عنوان "النفع الرابع في بر الصحابة ومذمة البخل".

إن الكرم صفة مميزة تحمل لصاحبها السعادة في العالمين، أما البخل فهو كالمرض الذي لا علاج له:

"البخل مرض، لا يشفيه دواء

ويد البخيل لا تقوى على الإحسان"[٥٥]

وفعلاً، إن التغلب على البخل في النفس وقهره هو واجب ضروري لكل مسلم مؤمن

عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ دبر الصلوات بهؤلاء الكلمات: "اللهم إني أعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر"[٥٦].

وفي الجزء الخامس من كتاب أحمد يغناكي يجري الحديث عن فوائد الاحترام والحفاوة، وكذلك ضرر الكبرياء والنفعية. من المعروف أن العظمة هي بالدرجة الأولى، خاصية من خصائص الله تعالى، لذلك لا يليق بنسل الإنسان أن يستسلم للكبرياء والعجرفة، وأولئك

فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك"[٤٩].

ومعناه (أي أن عليك أن تشعر بنفسك ضعيفًا ومسكينًا فقيرًا)[٥٠].

يتناول أحمد يغناكي في هذا الجزء من كتابه أحاديث رسول الله ﷺ بشكل مباشر، ويضمن أبياته الشعرية المبادئ الإسلامية القائمة على أساس الأحاديث الشريفة:

"يسمي رسول الله العالم حقلاً مزروعًا

فاجمع بذور الخير من هذا الحقل"

ومن يزرع ويحصد تسير حياته على ما يرام"[٥١]

إن النموذج التام للحديث الشريف عن فناء هذا العالم الزائل، جاء في الحديث الصحيح: "عن أبي سعيد الخدريّ أنّ رسول الله ﷺ قال: أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا" قالوا: وما زهرة الدنيا؟ قال: بركات الأرض، قالوا يا رسول الله وهل يأتي الخير بالشر؟ قال: لا يأتي الخير إلا بالخير، لا يأتي الخير إلا بالخير، لا يأتي الخير إلا بالخير. إنّ كلّ ما أنبت الربيع يقتل أو يلم، إلا آكلة الخضر فإنها تأكل حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس، ثم اجترت وبالت وثلطت ثم عادت فأكلت، إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع[٥٢].

وبأمر الله يقع الغزال في الشرك"

"كل ما يجري في العالم، بإرادة الله

وإن ربط الجاهل ذلك بسبب ما"[٥٨]

كما نرى، كان أحمد يغناكي أديبًا مبدعًا ذا عقل ثاقب، وعالمًا واسع الاطلاع، تمكن من العلوم الدنيوية والدينية، وبعبارة أخرى كان حكيمًا من حكماء عصره، وتعد جوهرته "هبة الحقائق" أثرًا أدبيًا عظيمًا، يُظهر بشكل جلي وواضح الجوهر الإسلامي للأدب الأوزبكي في عصر حكم القرا خانيين.

٣- أثر القرآن الكريم والأحاديث الشريفة في تطور الأدب الأوزبكي:

من المعروف أن الأدب الأوزبكي، قبل العصر الإسلامي، تطور تحت تأثير الفولكلور الشعبي وتقاليد الأدب الشقيق، ثم لعب الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية ذلك الدور الإيجابي عن طريق إدخاله في الأدب القومي عنصرًا جديدًا، وأفكارًا إبداعية جديدة، وأغناه بنماذج شديدة التأثير، رافعًا بذلك، بشكل ملحوظ، التفكير الأدبي الاجتماعي. وقد ساهم كتاب المسلمين الأول القرآن الكريم وآياته الشريفة في ظهور تيار أدبي جديد في نهج التفكير الأدبي التركي، ضم في طياته عناصر شعرية وأفكارًا إسلامية ومواضيع جديدة.

الذين يتكبـرون لا يحترمـهم الناس ولا يرحمهم الـله تعالى. ويورد الأديب أحمد يغناكي أمثلة عن الـناس الذين جمعوا ثروات هائلة ولم يستـعملوها، ويدعو قُرَّاءه لعـدم الغطرسة والتعجـرف، والسعي إلى إظهار التـواضع واللياقة، لأن اللياقـة والأدب يقودان صاحبـهما إلى الوداعة ويقربـانه من الله عز وجل. أما الكبرياء فـتقود صاحـبها إلى الجهل:

"صفة المؤمن اللياقة

فاظهر لياقتك أيها المؤمن"

"التواضع يقرب من الله

والكبرياء تذل الناس"(٥٧)

وفي الجزء الأخير من كتاب "هبـة الحقائق" نجد مواعظ تربوية وأفكارًا عن توزيع الخيرات في عالم الإنسان، وعن فائدة الإقلاع عن البخل والحفاظ على الأخلاق العالية وصون النفس من الأشياء الدنيئة والخضوع لمشيئة الله تعـالى. وبهذا الصدد كتب أحمد يغناكي، بحس أدبي كبـير، يشرح جوهر الإيمان وذلك في قـسم "حول الإيمان بالله الخالق وصحة أقواله":

"بمشيئة الله ، تتم كل الأفعال

وبمشيئته ينجح الإنسان في كل الأعمال"

"وحسب المكتوب، تصيب الشوكة القدم

يساوي وهدفت إلى تفسير الآيات القرآنية الشريفة وشرح أحاديث الرسول الكريم محمد ﷺ ونشرها على نطاق واسع بين الناس، ازدهرت بشكل خاص أيضًا في القرن السابع، ويمثل مؤلَّف نصر الدين برهان الدين أوغلي ربغوزي "قصص ربغوزي" واحدًا من تلك النماذج المتطورة في الأدب الإسلامي.

ووفقًا للمصادر القديمة، عاش ربغوزي في قرية رباطي - آغوز في وادي خوارزم وكان يعمل قاضيًا للقرية[٦٠].

في مقدمة كتابه "قصص ربغوزي" كتب المؤلف ما يلي: "ألَّف هذا الكتاب رافع الصلوات لله تعالى وقاطع صحراء الدَين، قاضي قرية رباطي - آغوز برهان أوغلي نصر الدين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين"[٦١].

وعن سبب تأليف هذا الكتاب ومحتواه وأسلوبه الأدبي ومقدمته يورد ربغوزي الاعتراف التالي: "لقد أقسمت أمام التاريخ وعقدت العزم على إنهاء هذا العمل بسبب رغبتي واهتمامي الشديدين بسِير الأنبياء"[٦٢].

كما نلاحظ فإن "قصص ربغوزي" هي مؤلَّف أُلِّف في حقبة تاريخية محددة، عندما ظهرت الحاجة في الأدب التركي لكتابة سِير الأنبياء. ومن الأسباب التي دفعت إلى ذلك التمسك الشديد بالدين الإسلامي مع مطلع القرن السابع في آسيا الوسطى، هذا أولاً، وثانيًا، زيادة الحاجة بين الشعوب التركية لمعرفة وفهم آيات القرآن

يشير الدكتور حميد الله كرامتوف إلى أن "الأدب الأوزبكي تمكن على مدى قرون عديدة من استيعاب القرآن الكريم وأنتج على أساسه مؤلفات قيمة نادرة. لقد أعطت نصوص القرآن الكريم في مراحل محددة من مراحل تطور شعوب المنطقة شروحات وتفاسير ضرورية، أدت إلى كتابة مؤلفات أدبية ودينية تعليمية، مُشكلة بذلك الأدب الدنيوي والديني العام"(٥٩).

وهكذا أصبح موضوع سير الأنبياء الذي يتناوله الأدباء شعرًا ونثرًا واحدًا من التوجهات الجديدة في الأدب الأوزبكي التي ظهرت تحت التأثير المباشر للقرآن الكريم، وارتبطت الخطوات الأولى لهذا النهج الأدبي الجديد بإبداع نصر الدين برهان الدين ربغوزي، وأحمد يساوي وسليمان باقر غني.

تفسير الآيات الشريفة والأحاديث في 'قصص ربغوزي':

تشكلت دولة القرا خانيين التي ضمت في القرنين الخامس والسادس خوارزم، وشمال إيران، شرق تركستان، ويتِّي ساىْ، وأفغانستان، وكذلك مدينتي شاش وفرغانة، نتيجة لاتحاد القبائل التركية المتعددة، وتطورت وازدهرت العلوم والحرف، والآداب والفنون في عهد القرا خانيين، وكتبت المؤلفات الأدبية في ذلك العصر بشكل أساسي باللغات العربية والفارسية والتركية، وتتابع هذا النهج الأدبي في القرن السابع أيضًا، إلى ذلك فإن التقاليد الإبداعية الإيجابية التي ظهرت في مؤلفات يوسف خاص الحاجب، وأحمد يغناكي، وأحمد

بيتربورغ، في قسم مجمع المخطوطات التابع لمعهد الدراسات الشرقية لدى أكاديمية العلوم الروسية تحت الرقم (C- 245)، ويعود تاريخ هذه المخطوطة إلى القرنين التاسع والعاشر، وحسب شهادة البروفسور أ.ي. فضيلوف فإن هذه المخطوطة غير كاملة وتنقصها المقدمة والجزء الأخير، إلا أنه جرت إعادة كتابة النقص وفق نسخ المخطوطة الأخرى[٦٣].

إلى جانب ذلك يحتفظ معهد الدراسات الشرقية لدى أكاديمية العلوم الأوزبكية ببضعة نسخ من كتاب "قصص ربغوزي" خُطَّت في مراحل زمنية لاحقة، كما جرى نشر نسخ مخطوطة "قصص ربغوزي" عن طريق طباعتها حجريًا بين أعوام ١٢٧٦- ١٢٩٩هـ (١٨٥٩ - ١٨٨١م) أولاً في مدينة قازان ثم في مدينة طشقند.

يعد مؤلف الأديب الكبير نصر الدين برهان الدين ربغوزي مثلاً أعلى للتفكير الأدبي الديني والدنيوي، ويضم ٧٢ قصة، تحكي بلغة مبسطة، لشعوب القبائل التركية التي عاشت بين القرنين السابع والثامن، سِير الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وتشرح معاني الآيات الشريفة ناقلة بذلك نور الإيمان إلى قلوب الناس، وإلى جانب الحكايات والقصص والروايات والأحاديث ضَمَّن ربغوزي، الذي كان يتمتع بموهبة شعرية نادرة، أشعارًا باللغتين العربية والتركية.

وعند تأليفه لكتابه وضع ربغوزي نصب عينيه هدف إيصال الخير والسعادة للناس عن طريق تعريفهم بالدين الإسلامي، وشرح

الكريم والأحاديث النبوية خاصة بعد الانتشار الواسع لأعمال أحمد يساوي وسليمان باقرغني التي روجت لأفكار وتعاليم الإسلام. وثالثًا لأن قصص سير الأنبياء لم تكن قد اتخذت طابعها الفني التام في الأدب التركي الأوزبكي قبل ربغوزي. في هذه الظروف التاريخية - الاجتماعية بالتحديد ظهرت الحاجة لتأليف "قصص الأنبياء"، ونتيجة لذلك ظهر إلى النور كتاب الأديب نصر الدين برهان الدين ربغوزي "قصص ربغوزي".

اشتهر مؤلَّف ربغوزي الذي اكتمل تأليفه في شباط - آذار من عام ١٣١٠م (بداية القرن الثامن) بين الناس باسم "قصص الأنبياء"، ولحسن الحظ فقد وصلت إلينا بضعة نسخ مخطوطة من هذا الكتاب، وتعد النسخة المحفوظة في متحف لندن الأقدم بالنسبة للنسخ الأخرى لأنها خُطَّت في القرن التاسع.

وقد أصدر عالم النصوص ك. غرونبك في عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م نسخة مصورة عن هذه المخطوطة في مدينة إستنبول، وإلى جانب قدم هذه المخطوطة فهي ذات قيمة كبيرة بسبب وضوحها وتمام نصها، لذا استعملت النسخة المصورة التي أصدرها ك. غرونبك كأساس في كتاب "قصص ربغوزي" المؤلف من مجلدين والذي تم إعداده في عام ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م من قبل العلماء الأوزبك وأ. ي. فضيلوف، أ. يوسوبوف، و ح. دادابايف.

والنسخة الثانية من مؤلَّف ربغوزي محفوظة في مدينة سانت

أبدى نصر الدين ربغـوزي اهتمامًـا خاصًا بسـيرة النبي الكريم محمد ﷺ، وبأعماله الخـيِّرة وبدعوته إلى الدين الإسلامي وكذلك المؤمنين برسالته.

قـبل أن يبـدأ نصر الـدين ربغوزي روايتـه عن: حـبـيب الله ورسوله محمد ﷺ، يقول:

"إذا اجتمع في مكة مع الصحابة

فهو منير بين النجوم كالبدر

هو على الأرض - واسمه عالٍ في السموات

وجهه أحسن من نور الشمس، ومن القمـر" (٦٣)

ومن بين مختلف أنواع الفنون التي جـاءت في كتاب "قصص ربغوزي" يحتل الشعر والرباعيـات مكانًا كبيرًا، ففي مطلع كل رواية من سير الأنبياء يورد المؤلف شعـرا عن الأحداث المرتبطة بهم، فمثلاً في بداية "قصة إبراهيم عليه السـلام مع النمرود" يورد الكاتب شعرًا ذا معنى عميق فيقول:

"ولد في الخيمة، مصَّ شفتيه وعاش في الجبال، إبراهيم،

انتظر نجمة، استمع إلى القمر، ونظر عاليًا إلى السماء، إبراهيم

كشف ربنا له النقاب عن سبع سموات وسبع أرضين

آيات القرآن الكريم، ونقل الروايات الإسلامية عن أعمال الأنبياء وأحاديث الرسول الكريم محمد ﷺ بلغة مفهومة للقبائل التركية، وتمكن الحكيم الثاقب الذهن والشاعر نصر الدين ربغوزي بشكل رائع من تحقيق مسعاه النبيل بإرادة الله ورحمته، وبذلك أثرى آداب الشعوب التركية الكلاسيكية بجواهر قيمة.

يورد نصر الدين برهان الدين ربغوزي في كتابه أحاديث شيقة عن الأنبياء والصالحين الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم مثل: آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويوسف، وموسى، وداوود، وسليمان، وإلياس، وزكريا، ويحيى، وعيسى، ومحمد، عليهم جميعًا أفضل السلام.

وفي معرض طرحه المختصر لسير الأنبياء يتعامل ربغوزي بأسلوب أدبي مع الحكايات الإسلامية المرتبطة بأسماء الأنبياء معبرًا عنها بالطريقة التركية ومن أمثلة ذلك نورد "قصة قابيل وهابيل"، و"قصة بناء "كعبة"، و"قصة إبراهيم"، و"صفة عاديين"، "قصة التوراة"، و"قصة موسى"، و"قصة بني إسرائيل"، و"قصة جالوت عليه اللعنة"، و"قصة "صفة كرسي سليمان"، و"قصة أصحاب الكهف"، و"قصة أصحاب الفيل".

تستخدم هذه القصص لدعوة الناس إلى الدين الحق وإلى البر والتقوى ولبيان أحقية الدين الإسلامي وعظمة الله عز وجل، وبقراءتها يتعمق القراء في جوهر الحياة وفي الإيمان بدين الحق.

مثـمر، فلو نظرنا إلى القصيـدة بلغتهـا الأصلية نرى فيهـا في البيت الأول كلمات "توغّـان"، "إمغّان"، "تورّغان". وفي البـيت الثاني كلمات: "أنغلاب"، "تانغلاب" مما أمّن سجعية البيتين ونشاهد ذلك أيضًا فـي البيت الأخيـر عبـر كلمات: "سـبيـغان"، "سـويغان"، "بدورغان"، "تشيغرغان"، "أبورغان".

يصف ربغوزي فـي شعره، وفق تفـسير المـصادر الإسلامـية، خصائص الأنبياء الطيبة، ويصور كذلك في شعره سلطة النبي سليمان على كل أحياء الأرض، وكيف قاد شعـبه إلى الطريق القويم بامتلاكه "الحجج في كلامه، وحب الخـدمة في داخله، وصولجان السلطة في يده".

"كل نسل البشر، كل الطيور، الزواحف، الغيلان،

الحوريات، الرياح والسحب

كل عظيم وكل صغير خدم عنده

بقي ذكره في الأرض

في كلامه امتلك الحجج، في جسده - الخدمة

وفي يده صولجان السلطة

كان اسمه "عبدالله" وسماه الناس "الملك"

وصار للضالين دليلاً إلى الصراط المستقيم" (٦٥)

وشاهد إبراهيم قمة السماء وقعر الأرض

وعندما أراد تقديم ابنه ضحية

أحضر له جبرائيل بدلا عنه من السماء كبشًا سمينًا[٦٤]

وقافيـة هذه الأبيات في لغتها الأصليـة على طريقة الرباعي أ- أ، ب - أ يتكرر اسم إبراهيم في نهاية كل بيت كرديف.

يستنتج من البيت الثاني (انتظر نجمة، استمع إلى القمر، ونظر عاليا إلى السـماء، إبراهيم) ما يلي: يخرج إبراهيم من المغـارة لمعرفة الله، ولدى خروجه شـاهد نجمًا مشعًا بقـوة - كوكب الزهرة، ففكر إبراهيم: "لابد أن إلهي هو هذه النجـمة؟ إلا أن الزهرة اختـفت بعد فتـرة من الوقت وعندها قال إبراهيم: إن ما ولد ومـا غاب لا يصلح لأن يكون إلها، وبعد وقت ظهر القمر، إلا أنه غاب أيضًا فيما بعد، ومع تباشـير الفـجر أشرقت الشـمس، لكنها غـابت خلف الأفق مع حلول المساء.

عندما سـأل الناس إبراهيم: "إذا كنت لا تركع لهم فلمن تريد أن تركع؟" فأجابهم: أود أن أحني رأسي أمـام خالق الأراضي السبع والسموات السبع، وخالق الأراضي السـبع والسموات السبع، هو الله تعالى".

عند تأليف هذه الأبيات استعمل الـشاعر طريقة السجع بشكل

ومن لم يصغ له، بقي مع الضالين" [٦٧]

يجب القـول، إنه في أيام نصر الدين ربغـوزي، ساد في أدب آسيا الوسطى نهج التأليف بلغتين متوازيتين (مثلاً: التركية والفارسية، أو التركية والعربيـة)، وبسبب معرفته للغتين التركية والعـربية استعمل ربغـوزي هذا النهج أيضًا، ولذلك نجـد في مـؤلفاته أشـعارًا باللغـة العـربية، ومن خـصائص إبداع ربغـوزي في هذا المجال (اسـتعـمال اللغـتين في آن واحد) كـمن يخلط السكر بـالحليب، أي تأليف بيت باللغة العربـية، يليه بيت باللغة التركـية، وعادة ما كـان البيت الثاني المكتوب باللغة التركية (اللغـة الأوزبكية القديمة) عبارة عن شرح لمعنى البيت الأول المكتوب بالعربية:

"يا صبح الوجه يا ضوء النهار المشتهر

أنت روحي، وجهك الميمون شمس أو القمر

إلينغزجن تولن اوتيك كنايور كيركو كاروك

يوزنكور كوندن كوروك كركنكور كن يو قمر

طالت الأحزان ودهرًا فالحبيب قد جفا

عبده لم يأت بالغفران يوما بل شهر

لعلن اجسا يجولاردن تولكلونور ترلوك لطيف

وإذا كان النبي سليمان يعرِف لغات كل الكائنات ويتكلم معها، وإذا كان الغيـلان والحوريات خضعوا له، فـإن النبي يونس لم يتوقف عن ذكر الله والصلاة له حتى عندما كان في بطن الحوت:

"ترك الناس ودخل في بطن الحوت

وقضى الليل والنهار في الصلاة

وأنقذه الله القادر ليحتشم الناس

فجاءوه بالآلاف والمئـات"(٦٦)

تفيد الأبيات الإسلامية الأوزبكية أن النبي إلياس والعبد الصالح الخضر ترافقـا وعبرا بحارا عديدة، وبما أن حبهـما لله كان بلا حدود فقد استجاب الله تعالى لصلواتهما وأهداهما الحياة حتى يوم القيامة. وقام ربغوزي بالاعتماد على هذه القناعة الدينية بتصوير نموذج شعري لإلياس المؤمن الحكيم الذي بشَّر بكلمات الله وعلم الناس الإيمان به:

"استمع، من إلياس، إلى كلمات الإيمان، أيها الحكيم

سأحدثك بها فاستمع، أو حدثني بها لأستمع

صلَّى النبي العالم لأجل الناس من كل قلبه

وانحنى لله دائمًا وظل تقيًا وبلا ذنوب

هدى الناس للإيمان بالله

شاع مؤلَّف ربغوزي القيم وأصبح نموذجًا للأدب الروحي الإسلامي في المراكز الثقافية والمدارس الدينية والمكاتب والكثير من مؤسسات المعرفة والتنوير في آسيا الوسطى، أوجدت المواضيع الواردة في "قصص ربغوزي" من روايات وقصص منقولة بسبب شيوعها بين الشعوب التركية في النهج الملحمي الشفوي، أوجدت بين الناس سلسلة من الروايات والحكايات والأساطير الإسلامية.

إلى جانب ذلك، وضع هذا المؤلَّف حجر الأساس في الأدب الأوزبكي لنهج الروايات الإسلامية من هذا النوع، فمثلاً جاء مؤلَّف علي شير نوائي "تاريخ الأنبياء والحكماء" كاستمرار مباشر لهذا النهج الأدبي الذي بدأه نصر الدين ربغوزي، ولقد تمكن ربغوزي على أفضل وجه من عرض مواهبه الأدبية الفريدة، وعرض فكرته الأدبية بعمق وبطريقة مجازية في النثر وفي الشعر معًا مظهرًا بذلك معرفته العميقة بالعلوم الدنيوية والدينية.

٤- أحمد يساوي والأدب الإسلامي - الأوزبيكي:

ولد الشاعر الأوزبكي العظيم أحمد يساوي الذي جسد الأفكار الإسلامية في حكمته، في مدينة ياسّي التركستانية في عائلة الشيخ إبراهيم، وأتم أحمد يساوي علومه الروحية الأولى من دراسته الابتدائية في أرسلانباب وانتقل بعدها إلى مدينة بخارى وهناك تتلمذ على يد الشيخ المعروف يوسف همداني.

تابع أحمد يساوي دراسته تحت إشراف هذا العالم الديني

أول ارينينغ توجيكيند قايدا يتسون بل شهر

رونق الريحان نمرًا قد يعج بالرجا

لفظك الممزوج شهدًا صار الأهل والعمر

كركنكوزنى كساير من ارتا كوخ بركن بولور

امكاكن يفلوك تليم بور امكاكان آخر اماس

كنت في الجفا محقًا لا بل أنت الحكيم

يا حبيبي هكذا عبد الحزين قد أكثر

كوركونكا مونكلوك بولوبن كوركنى من كوساير

ارتانر باكريم يوكيلدى يوشيكينام يولتك اوكر"[٦٩]

ونلاحظ أن المؤلف يتمتع بموهبة الاستعمال الفني للكلمات مستعملاً التعبيرات الدقيقة.

وفي معرض شرحه باللغة التركية لمعاني الآيات الإسلامية عن طريق الرواية والشعر لا يستعمل نصر الدين ربغوزي الطريق المعروف أي الترجمة العادية للآيات القرآنية ولتفاسيرها، ولكنه في كثير من الحالات يحافظ على النواة الملحمية لمواضيع المصادر الإسلامية وينقلها مضيفًا لها تقاليد الشعوب التركية المحلية، ونتيجة البحث والمقارنة اللذين أجراهما العالم الشاب ن. حسن ظهرت بعض الفوارق بين تفسير صورة ونموذج النبي يوسف في "قصص ربغوزي" وبين ما جاءت به آيات القرآن الكريم في سورة يوسف[٧٠].

العصيب أضاع الناس حب المقربين المقدس، وضميرهم وشرفهم وأضاعوا الأخلاق الإنسانية والطيبة، في هذا الوقت الصعب قطع أحمد يساوي على نفسه عهدًا بإنقاذ العالم التركي من هذه اللاروحية بواسطة نور الإسلام، وكان مقتنعًا تمامًا أن القيام بذلك ممكن فقط عبر السير على الصراط الإلهي المستقيم والولاء لله العظيم، وكان أحمد يساوي الذي توصل إلى قمة العلم مؤمنًا بأن معنى الحياة يكمن في تحقيق هذا الهدف.

توصل أحمد يساوي إلى استنتاج مفاده أنه من الضروري الاعتراف بالله الواحد الأحد والإيمان به للتخلص من الرذائل والدناءة والبخل والصفاقه.

وفي مؤلفه "مناجاة نامه" كتب أحمد يساوي يقول إن الناس بقراءتهم لأشعاره التي هي بمثابة "بلسم لأمراضهم"، وكذلك عباد الله الذين يلتزمون بقواعد الإيمان، يحصلون على النجاة في يوم القيامة:

"إن مصادر حِكمي - الأحاديث

من لا يتقبلها - التافه من الناس

والأحاديث كانت بأمر من الله

فاقرأها - تجد فيها معاني القرآن"

أشار الدكتور حميد الله كرامتوف، الذي درس المحتوى

المعروف، ليصبح بعد ذلك واحدًا من أهم علماء عصره وعمودًا من أعمدة علماء الدين الإسلامي، ثم عاد بعدئذ إلى وطنه تركستان.

كرّس أحمد يساوي حياته لتوطيد الدين في تركستان، باثًا في أفئدة الناس الإلهام الإلهي للآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، وداعيًا مواطنيه إلى الإيمان بالله العظيم، ووضع أسس طريقة إصلاحية عرفت باسم "اليساوية"، واعتمد أحمد يساوي على الشعر لنشر مواعظه وأفكاره الدينية، وتابع بمواهبه الخاصة النهج الأدبي الذي وضع أسسه يوسف خاص الحاجب، وأحمد يغناكي وغيرهما من الشعراء الأتراك المحليين، وطرح التوجهات الأساسية للتعاليم الإسلامية باللغة التركية شعرًا، وترك كنزًا كبيرًا من الآثار الأدبية، فقد خطت ريشة أحمد يساوي مؤلفات شهيرة مثل: "ديوان الحكمة"، و"رسالة طريقة دار الأدب"، و"معراج نامه"، و"مناجاة نامه"، و"قصة نعمان بن ثابت"، و"فقر نامه".

توفي أحمد يساوي، حسب المصادر، في سنة ٥٦٢ هجرية ١١٦٦ ميلادية[٧١].

من المعروف أن وضعًا اجتماعيًا - سياسيًا صعبًا ساد في آسيا الوسطى في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، وساد الانحطاط في المنطقة بسبب الحروب المستمرة بين القرا خانيين والقرا خِتائيين. وناءت البلاد تحت وطأة حروب الفتح وحملات الحكام الأتراك ونير ظلم الحكام المحليين الذي لا هوداة فيه، في هذا الوقت

عقيدة المؤمن الحياتية التي تحدد الفكرة الأساسية الهادفة لحكم يساوي:

"بما أنك مؤمن، فاعطف على الفقراء

ونفذ دومًا قول المحدثين وقارئي الآيات

وإذا منحت طعامًا، فكن قنوعًا

ونفذ رغباتك بعزوف عن النزوات

إن كنت حكيمًا، فاهتم بالفقراء

وآوِ واعطف على اليتامى كالمصطفى

وأدر ظهرك للشـره الحقيـر

فتصبح نهرًا واسعًا مفعمًا"(٧٤)

الحريصـون على الثروات في هذا العالـم الفاني لا يفكرون إلا برغباتهم الآنية وبحياتهم الدنيوية فقط:

"يتفاخر الأغنياء بعرض الثروات والرخاء

وينسى المتفاخرون إرادة الله

سيحرمهم، لحظة الموت، من الإيمان

ويتركون هذا العالم بحسـرة

أود أن أرى، يا إلهي، جامعي الثروات

هل، في نهاية الحياة سيضحكون

الإسلامي لحكم أحمد يساوي وعلاقتها الوثيقة بآيات القرآن الكريم، إلى أن "المفكرين الأوزبك" لم يتمكنوا من نقل معاني القرآن الكريم والأحاديث الشريفة بشكل صحيح بسبب قلة اطلاعهم على التاريخ الماضي، إلا إنهم نجحوا في التفسير وشرح معاني النصوص الدينية لمواطنيهم.[٧٢]

تعد حكم أحمد يساوي نصوصًا أدبية قيمة هدفت عن نية طيبة لتفسير الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة باللغة التركية، وكتب المؤلف يقول:

"الحمد لله، بما أن معنى الآيات والأحاديث طرح بالتركية

فمن يفهمه، يخلع قبعته ويخر ساجدًا"

ترتبط جذور حكم أحمد يساوي الأخلاقية والفلسفية والروحية بشكل مباشر بمعاني آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد ﷺ - يقول الدكتور إبراهيم حقّولوف: فتعاليم النبي محمد ﷺ هي بالنسبة لأحمد يساوي "دعوة لرحمة المساكين والأيتام"، وتبين الطريق الصواب "للضالين والتائهين"، وتعين "عباد الله المؤمنين"، وتحذر من "التقرب من جمع الكاذبين"، وتدعو إلى "الإيمان بالله الواحد"، وهي بذلك تتمتع بقيمة عالمية كبيرة جدًا[٧٣].

يدعو أحمد يساوي إلى ممارسة شعائر السنة التي أوصى بها الرسول الكريم، والاعتراف بالصبر والشرف والعدل والخصال الحميدة والعزوف عن النزوات ومساعدة اليتامى والمساكين، وهو ما بشكل

اعلموا - أنه من الموالين لي والمؤمنين

فإذا التقيتم يتيمًا فلا تقهروه

وإذا رأيتم مسكينًا فلا تحزنوه"[٧٦]

وبالفعل اعتبر النبي محمد ﷺ كل من عطف على يتيم ورباه جديرًا بالجنة.

ويقول يساوي أيضًا:

"**كان صبورًا على الجوع والحاجة، محمد**

وكان قلبه مفتوحًا لكل المؤمنين، محمد

أقام الليالي الطويلة، كان يتلو القرآن محمد

عطف على الفقراء واليتامى، ذو القلب الطيب محمد

يبين الصراط المستقيم للناس التعسة التائهة، محمد

وإذا ضربت الحاجة الناس فجأة، يساعدهم محمد"[٧٧]

وفي معرض وصفه لرسول الله ﷺ كمحافظ على قواعد الشريعة وموضح لطريق الجنة يدعو الشاعر أحمد يساوي المؤمنين ليكونوا على قدر مقام نبيهم ومربيهم الروحي، لأن "من ينسى كلمة الله، وسنة رسوله، لا يمكن أن يكون من عداد المؤمنين وإنه لمن النفاق أن تسمى نفسك من أمة محمد ولا تنفذ شعائر الدين الإسلامي ولا تتبع سنة محمد.

أغراهم الشيطان فأنساهم الإيمان

وبالبكاء هذا العالم يتركون

يا عبد الله، ياحاج أحمد، إن أخذت فائضًا فأنت ملعون

صَلِ لله بتأن ليراك الرحمن

صلوا يا عباد الرحمن، واتركوا الثروات

فترك الغنى، يمنحكم في الآخرة الحياة"[٧٥]

أظهر أحمد يساوي بفن أدبي كبير أيضًا شخصية النبي محمد عليه السلام، ففي إحدى قصائده المثنوية تحدث بلغة سهلة مفهومة عن سيرة الرسول ﷺ: نسب الرسول وأهله وعن أيام شبابه ثم نزول الوحي الإلهي عليه في الأربعين، ويتحدث كيف كان الرسول عليه السلام ملجأ اليتامى وطيب القلب يعتبر واجبه الأقدس في إظهار الرحمة لليتامى والمساكين، كما تشير الرواية التالية:

"جاء، إلى الرسول، يتيم

قال: أنا مسكين ومعذب

عطف عليه الرسول

وأعطاه ما تمناه

وقال محمد: أنا وأنت من اليتامى

عندما تسمعوا ذلك، مجدوا الخالق يا أمة الحق، يا أصدقاء

ويأتي الجواب:

لقد قبلت رغباتك، يا رسول الحق

وتقبلت كلماتك، فلا تحمل العبء

فتمنَّ ما تريد، سأحقق كل رغباتك

عندما تسمعوا ذلك، مجدوا الخالق يا أمة الحق، يا أصدقاء"[٧٨]

طلب رسول الله ﷺ الرحمة للمؤمنين عندما وقف أمام الله فأجابه ربه:

"قال الله: لقد سمعت طلباتك

كن سعيدًا، ليكن كما تريد، أيها المصطفى

عندما تسمعوا ذلك مجدوا الخالق يا أمة الحق، يا أصدقاء[٧٩]

من المفترض أن يكون بعض معاصري أحمد يساوي قد رفضوا تصديق قصة "المعراج"، ويجد الشاعر من الواجب أن يشرح ذلك للمؤمنين ويمنعهم من تصديق "الكاذبين ضعيفي الإيمان"، ولذلك يدعو في نهاية "قصة المعراج" مواطنيه لعدم الشك في الإيمان:

"يا إخوتي، كلمة "المعراج" لم تُقل كذبًا

"إن السائر على طريق الحق، والعبد الصادق المؤمن بالله هو من يسميه محمد من أمته، ومن يخدم رسالة الرسول هو من أمة محمد، ولن يحرمه الله سبحانه وتعالى من شفاعة محمد ﷺ يوم الدين"(٧٨).

وكما سبق وأشرنا، تشكل عصور الازدهار الأدب الإسلامي الأوزبكي، تحت تأثير القرآن الكريم، وهكذا نظم مؤلّفه الكبير "كتاب المعراج" (معراج نامه).

ألفت الكثير من القصص والروايات والحكايات في الآداب الإسلامية تحكي قصة المعراج، وتتألف رواية "معراج نامه" التي خطتها ريشة أحمد يساوي من ٢٧ رباعية موزونة على طريقة الموشح أ - أ - أ - ب ويتكرر الشطر الرابع في جميع الرباعيات وهو: "عندما تسمعوا ذلك، مجدوا الخالق يا أمة الحق، يا أصدقاء".

بعد ارتقاء الرسول ﷺ إلى السماء وامتلاكه سعادة رؤية وجهه، جرى حديث ما عند اللقاء، وبالطبع أثار ذلك اهتمام كل المؤمنين، ويشير أحمد يساوي إلى أن الرسول ﷺ سأل الله تعالى أن يغفر لأمته ويرحمها:

"قال الرسول: أسألك اللهم الرحمة للآثمين من أمتي

وهبهم رحمتك لبلوغ رشد الأربعين

اللهم منك الرحمة ومني الدعاء

بدأه أحمد يساوي ووصلوا به إلى مصاف الأدب المتكامل.

٥- سليمان باقرغني وكتابه "كتاب باقرغني":

يحتل الشاعر الخوارزمي المعروف سليمان باقر غني (القرن السادس) مكانًا مرموقًا في تاريخ تطور الأدب الإسلامي الأوزبكي، وقد مضى على نهج أحمد يساوي الأدبي في عهد الحكم السوفياتي، وقد اعتبرت مؤلفات هذا الأديب الموهوب من "نماذج الأدب الديني"، فحاول السوفيات بطرق متعددة، التقليل من قيمة مستوى أفكاره الأدبية وحكمه الأصيلة. فمثلاً، كتب الدكتور ناتن مالايف في تحليله "تاريخ الأدب الأوزبكي" ما يلي: "كتب سليمان باقر غني، إلى جانب أشعاره، قصيدتين «كتاب آخر الزمن» و«كتاب بيبي مريم» وهما قصيدتان دينيتان متزمتتان يدعو فيهما إلى التذلل كالعبيد ويحاول بث الرعب في قلوب الناس عن طريق طرحه لعذاب الناس وحتمية يوم القيامة"[٨١].

بهذه الكلمات، يحاول المؤلف، مستندًا إلى النهج الأيديولوجي السياسي السائد في عهد الحكم السوفياتي، إعطاء تقييم غير صحيح وغير موضوعي عن مؤلفات سليمان باقر غني، ويسعى إلى التقليل من قيمة أفكاره الجمالية والاجتماعية والأخلاقية، وما أحياه من أمثال شعبيه.

أما الواقع فهو أن قصيدتي الشاعر تعبران عن فكرة العمل حتى

رغم ترويج الكاذبين ضعيفي الإيمان

هم منذ الأزل قـوة ضد السـعادة

عندما تسمعوا ذلك، مجدوا الخالق يا أمة الحق، يا أصدقاء

يا أخوتي، لا تصادقوا المرائين

فصديقهم ينال مئة ألف مصيبة

كل أعمال المنافق - الضرر والفحشاء

عندمـا تسـمعـوا ذلك، مـجدوا الخـالق، يا أمـة الحق، يا أصدقاء"[٨٠]

لقد وضع أحمد يساوي الأسس لتيار جديد في الأدب التهذيبي الأوزبكي قـائم عـلى أفكار الدين الإسـلامي عن طـريق مـعـرفـتـه اللامحـدودة بالإمكانيات الأدبية لفن الحـكم، الذي خدم بشكل رائع عملية شـرح معاني الآيات القرآنية والأحاديث الشـريفة للناس، وقد استـعمل كـثيـرون هذا النهج الأدبي القائم علـى الحكم نثرًا وشـعرًا والداعي إلـى الإيمان بالله، ومنـهم عـدد من كـلاسـيـكيي الأدب الإسـلامي الأوزبكي مثل: سليـمان بـاقر غني، وعـبيـدي، وعظيم خـوجـه ايشـان، وصـوفـي ألّويار، وهويدا، والملا شـمس الدين أوزغندي، وقُـول شريـف، وبابا ماتشين، وهُـدايداد، وقُول سـيف الدين، ومسكين قـاسم، وقُول أسد ومسكين غريب الذيـن تابعوا ما

ومستعد أنا لابتلاع النظيف والوسخ

روحي تقول: أريد أن أكون أمام الله نظيفة

وأن أذكر اسمه، ليل نهار، في الصلوات

وألا آكل أو أشرب أكثر من حاجتي

فلماذا يجب أن أجمع من العالم كل الثروات؟ " (٨٣)

في هذه السطور يبين الكاتب أن الهدف الأساسي لحياة الناس ليس في تكديس الثروات وإنما في طاعة الله وتثبيت الإيمان الذي ينير قلوب الناس، والتوصل بذلك إلى الصفاء الروحي. لقد أظهر الشاعر في حِكمه الفكرة القائلة بأن "العالم الداخلي للإنسان يمكن أن يبنى على حب الإنسان لخالقه تعالى" (٨٤).

ويلاحظ أن سليمان باقر غني استفاد من آيات القرآن الكريم، ويلاحظ هذا في استفادته من قصة إبراهيم مع ولده. من المعروف حسب ما جاء في سورة الصافات المباركة أن النبي إبراهيم عليه السلام شاهد في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل ضحية لله وعندما أخبر خليل الله إبراهيم ابنه بذلك قال إسماعيل ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

في الآيات الشريفة ١٠٣- ١٠٧ من سورة الصافات المباركة جاء أيضًا: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ

لا يتحول عالمنا إلى جـهنم، ويدعو إلى تجنيب الناس غضب الله يوم القيامة عن طريق إبعـادهم عن الشره والطمع، ويؤكد على دور الدين في حث الناس على الالتزام الروحي[٨٢].

ولكي نعطي تقييمًا واقعيًا وصـحيحًا لإبداع سليمان باقر غني، من الضروري تحليل مؤلـفاته وفق المصادر الإسلاميـة، ونشير إلى أنه بعد حصول جمهورية أوزبكستان على استقلالها وإعادة النظر في سمة "المؤلفـات الدينية"، أصـبح من الممكن إصدار الكثـير من المؤلـفات الثقافيـة القيمة التي كانت مخفيـة عن أعين المجتمع من قبل، وهكذا ظهر إلى النور "كتاب باقر غني".

تعتمد الحكم في مـؤلفات سليمان باقر غني مواضـيع متعددة، وتعكس بشكل واضح الصـراع بين الروح العليا ونقـائص الأنانية في الإنسان التي يمكن القضاء عليهـا بالأمانة والنزاهة فقط، ومن المعروف أن الشره يقود الإنسان لإرضاء "نزوات الحياة الفانية" وامتلاك السلطة على ثروات العالم، وتدين المصادر الإسلامية حب الشهوات، وهكذا فكبت شهوات النفس هو أساس التـجدد الروحي للإنسان، وقد أشار المؤلف إلى ذلك قائلاً:

"شرهي يؤكد قائلاً: اعرف طبيعتي

رغبتي دائمًا، صيفًا وشتاءا في الأكل والشرب

جسدي يشمل أعمال كل الناس

وعاد خالي الوفاض، دون تحقيق مرامه"

ولكي يُغني محتوى الرواية يعمد الشاعر باقر غني إلى توسيع الموضوع التقليدي بإضافات جديدة، ومثال ذلك ما قاله الابن لولده قبل أن يبدأ إبراهيم في تنفيذ حكم الله:

"كلمتي الأولى، أن أوثق يدي ورجلي

وشد وثاقهما، فالحياة حلوة،

وعندما ترتجف يداي ورجلاي

قد تنضّحك دمائي وأصبح آثمًا

وكلمتي الثانية، أدر وجهي نحو الأرض

ولا ترحمني، كي لا تحمل إثمًا

والثالثة: قدمني ضحية

وخذ ردائي المطلخ بالدم

وسلمه لوالدتي، كي يبقى عندها ذكرى"

وجد النهج الثلاثي مكانًا لنفسه بالتفاعل بين الأدبين الشفهي والمكتوب انطلاقًا من تكوين الموضوع الأدبي للمؤلفات، وهكذا يلاحظ أن الحدث الملحمي يزيد من درامية وتأثير الأحداث في الرواية مع استعمال الشروط الثلاثة التي طرحها النبي إسماعيل.

صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾.

طرح سليمان باقر غني مضمون هذه الآيات الشريفة في شعره، مع ملاحظة أن الشاعر يضيف إلى الحقيقة بعض الخيال لتقريب الصورة إلى عقول الناس البسطاء، مما جعلنا نحذف المقطع الأول من النص، ونبدأ من حيث إدراك إبراهيم عليه السلام لأمر الله في الرؤيا، وعرضه هذا الأمر على والده إسماعيل عليه السلام وموافقة إسماعيل على طلب أبيه طاعة لله، فقد كتب سليمان باقر غني:

"عرف إبليس بما حدث فاضطرب وهاج

وود إغراء إسماعيل وإقناعه بعدم الذهاب

وقال: يا إسماعيل، ارجع، واستمع إلى نصيحتي

لا تذهب إلى الجبل الأزرق، كي لا تتضرج بدمائك"

لكن إسماعيل المطيع لأمر الله يرى أن السعادة أن يضحي في سبيل الله وينال الخلود في الجنة، لهذا لم يستسلم لإغراءات إبليس:

"نظر إبراهيم إلى الشيطان وعرف هدفه

فرماه بحجر، دون التفات، ويبدو أنه أصابه

رمى إبراهيم الشيطان بحجر، فهرب

وعلى خطى معلمه أحمد يساوي، ألف سليمان باقر غني "معراج نامه"، ويمكن اعتبار منظومة سليمان باقر غني الأكثر كمالاً بين كل المنظومات التي كتبت عن المعراج من ناحية وفرة موضوعاتها وسعتها، إذ ضم مواضيع مثل اتهامات أبي جهل الجائرة بحق رسول الله ﷺ، والتي كانت سببًا في عروج الرسول إلى السماء، إضافة إلى الوصف الدقيق للبراق، ووصف مختلف المعجزات التي حدثت في الطريق إلى مكان الصلاة في الأقصى، وصعود الرسول ﷺ على السلم المتألق إلى السماء السابعة، وإلقاء الضوء بشكل مفصل على حديث الله مع النبي محمد ﷺ خلال اللقاء، فمثلاً البراق الذي أتى به جبرائيل من الجنة يذكر بالجياد الأسطورية الواردة في القصائد الشعبية:

"نظر الرسول فشاهد البراق

فأدهشه مخلوق الله الفريد

كأنه نسج من الأشعة وعيناه من الدر

أسنانه من اللؤلؤ وشفتاه من الياقوت الأحمر

رأسه من القلائد، وأذناه من العقيق"

إلى أن يقول:

"كان أعلى من الجواد وأخفض من الجمل

وكل خطوة من خطواته بمسيرة عام"(٨٦)

نهض إبراهيم عليه السلام ثم وضع السكين على عنق ولده، لكن الفولاذ الذي يقطع الحجر لم يتمكن من قطع عنق إسماعيل، وهذه معجزة من الله تعالى، ووقف خليل الله أمام هذه المعجزة كالمخدر في هذا الوقت جاءه جبرائيل ببشرى من الله وقال له:

"رعى الخروف الرمادي ذو الرأس الأسود من عشب الجنة

وشرب ماء تخر وتسيل من منبع الجنة

وشاهد الرب ها قد نفذت إرادته وأطعت أمره

قدمت له الضحية المطلوبة

وهكذا غطى رأس إسماعيل باللؤلؤ والدّر...

خذ هذا الخروف، وافتح ذراعيك، يا إسماعيل

واشكر الله، الذي قدم لك الهدية" (٨٥)

استعمل سليمان باقر غني بشكل مثمر واحدًا من التقاليد الناجحة في الأدب الإسلامي الأوزبكي - نهج "قصص الأنبياء"، واستعمل الشعر لتصوير هذه الموضوعات، وتحدث في حكمه أيضًا عن لقاء موسى كليم الله بالخضر وعن حديثه مع الله تعالى في جبل الطور.

وهناك موضوعات مهمة تحتل المركز الأهم في أشعار الشاعر مثل وفاة الرسول محمد ﷺ ودفنه.

هوامش الفصل الرابع

(١) تاريخ شعوب أوزبكستان، المجلد الأول، طشقند، دار "فان"، ١٩٩٢م، ص ٥.

(٢) الأدب الأوزبكي، المجلد الخامس، الكتاب الثاني، طشقند، ١٩٦٨م، ص ٣٣٥ - ٣٥١.

(٣) الإمام إسماعيل البخاري، الأدب المفرد، طشقند، دار أوزبكستان ١٩٩٠، ص٤.

(٤) محمد صادق محمد يوسف. الحديث والمحدثون، البخاري، حديث، الجامع الصحيح، المجلد الأول، طشقند ١٩٩١م، ص ٤.

(٥) أنايف ت.، شايدولايف ش. لوحات من تاريخ صرخان داريا. طشقند، دار عبد الله قادري لنشر ميراث الشعوب، ١٩٧٧م، ص ٧٠- ٧١٢.

(٦) أنايف ت، شايدولايف ش. لوحات من تاريخ صرخان داريا، طشقند، دار ع. القادري لنشر ميراث الشعوب، ١٩٧٧م، ص ٧٢.

(٧) ايشانوف أ.ي. صمدوف خ. س. أورازايف ش. تاريخ الدولة والحقوق في أوزبكستان. أهم توجهات ومدارس الحقوق الإسلامية، تفسير الحقوق الإسلامية، المجلدات ١- ٤، طشقند ١٩٨٣م، الهداية، تفسير الحقوق الإسلامية، المجلد ١، طشقند ١٩٩٤م.

(٨) متعي ي.، عثمانوف م. عن موطن محمود كاشغري وحياته ومازرهه، مجلة مرآة الأدب، عدد ٢، طشقند ١٩٩٦م، ص ١١٨.

(٩) د. سليمة رستاموفا، محمود كاشغري وديوان لغات الترك، مجلة مرآة الأدب، عدد ٢، طشقند، ١٩٩٦م، ص ١٢٤.

(١٠) د. سليمة رستاموفا، محمود كاشغري ديوان لغات الترك، مجلة مرآة الأدب، عدد ٢، طشقند ١٩٩٦م، ص ١٢٧.

(١١) وليدوف ج. حول قاموس اللغات التركية لمحمود كاشغري، مبشر الجمعية

كتب سليمان باقر غني كتابه "معراج نامه" بلغة سهلة مفهومة للناس، ولهذا انتشر الكتاب بشكل كبير بين القبائل التركية، وقد ساعد في ذلك أيضًا أن اللغة العربية لم تكن مفهومة لدى الأغلبية من الناس، لذلك لم يكن بإمكانهم التعرف على الرواية من المصادر الإسلامية الأصلية، في الوقت الذي وجدت فيه المؤلفات الأدبية المكتوبة بلغة الشعب انتشارًا بين مختلف فئات المجتمع.

وعلى الرغم مما في الآبيات الشعرية السابقة من خيالات فقد انضمت حِكم سليمان باقر غني ومؤلفاته "معراج نامه"، و"كتاب آخر الزمن"، و"كتاب بيبي مريم" إلى أفضل نماذج المؤلفات الأدبية الأوزبكية.

(٢٢) د. حميد الله كرامتوف، "القرآن والأدب الأوزبكي" طشقند، دار الفن، ١٩٩٣م، ص ٣١.

(٢٣) كريموف ق. داستان فني أول، طشقند، دار الفن، ١٩٧٦م، ص ٢٦.

(٢٤) كريموف ك. داستان فني أول، طشقند، دار الفن، ١٩٧٦م، ص ٢٨.

(٢٥) يوسف خاص الحاجب، طشقند ١٩٧٢م، ص ٤٠.

(٢٦) د. حميد الله كرامتوف "القرآن والأدب الأوزبكي" ص ٣٣٠.

(٢٧) "المعرفة المباركة"، ص ٤٩.

(٢٨) كريموف ق. داستان فني أوّل، طشقند، ص ١٣٤ - ١٣٥.

(٢٩) نصر الدين برهان الدين ربغوزي "قصص ربغوزي" المجلد الأول، طشقند، ١٩٩٠م، ص ٩٥.

(٣٠) انظر قصص ربغوزي، ص ٤٦.

(٣١) دليل "الإسلام"، طشقند ١٩٨٩م، ص ١٢٢- ١٢٤.

(٣٢) غفوروف أ. الاسم والتاريخ، موسكو، دار العلم ١٩٨٧م، ص ٨٢، حسانوف ن. "المخطوطات الأوزبكية للقرن ١٥م"، طشقند، دار الكاتب، ١٩٩٦م، ص ١٠٢.

(٣٣) د. يعقوب جان إسحاقوف ٥. التلميح، اللغة والأدب الأوزبكي، ١٩٧٠م، رقم ٣، ص ٦٦.

(٣٤) رحمانوف، ف. صناعات الشعر، لينين آباد، ١٩٧٢م، ص ٧٤.

(٣٥) كريموف ق. داستان فنّي أوّل، ص ١١- ١٢.

(٣٦) رواه البخاري برقم ٦٧٧٢ ومسلم برقم ٥٧.

(٣٧) كريموف ف. داستان فني أول، ص ١١٣- ١١٥.

(٣٨) Wüstenfeld F. Jacut's Geographisehes Wörterbuch- Leipzig 1866, I, 320, v. d.

العلمية للغة التترية، ٧، ١٩٢٧م، ص ١٠٧- ١١٢؛ كونونوف أ.، محمود كاشغري وكتابه "ديوان لغات الترك"، مجلة اللغات التركية السوفيتية، ١٩٢٧م، رقم ١، صفحة ٣- ١٧؛ د. عبد القادر خائيتماتوف حول شعر الأتراك القديم (من مواد "ديوان لغات الترك" لمحمود كاشغري، مجلة اللغات التركية السوفيتية، ١٩٧٢م، رقم ١، صفحة ١٢٣ - ١٢٨.

(١٢) محمود كاشغري، ديوان لغات الترك، المجلد الأول، طشقند، دار "فان"، ١٩٦٠م، ص ٣١٨.

(١٣) محمود كاشغري، ديوان لغة الترك، المجلد الثاني، طشقند، دار "فان" ١٩٦١م، ص ٣٥٠.

(١٤) ديوان لغات الترك، المجلد الثاني، ص ٣٣٠.

(١٥) "ديوان لغات الترك" المجلد الثالث، ص ١٤٧.

(١٦) محموتوف، خ. ش. محمود كاشغري وكتابه "ديوان لغات الترك" (باللغة التترية) قازان، ١٩٨٩م، ص ٩٢- ١٤١.

(١٧) ديوان لغات الترك، المجلد الأول، ص ٤٤ - ٤٥.

(١٨) ديوان لغات الترك، المجلد الثالث، ص ٤٣٣.

(١٩) د. نتن ما لايف، تاريخ الأدب الأوزبكي، طشنقد، دار المعلم ١٩٧٦م، ص ١١٣.

(٢٠) Vambery H. Uigurische Sprachmonumente und das Kudatku Bilik. Innsbruk, 1870. Radloff V. V. Das Kudatku Bilik des Iusuf Chass Hadschib fus Balacagun - St- Petersburg, 1910.
مالوف س. أ. من المخطوطة الثالثة "قوتادغو بيليك" أخبار أكاديمية العلوم السوفاتية، قسم العلوم الإنسانية، ١٩٢٩م، رقم ٩، ص ٧٣٤- ٧٥٤؛ برتلس ي. أ. "المعرفة المباركة" وأهميتها، دار "شرق حقيقي" ١٩٤٤م، رقم ١- ٢، كريموف ق. "داستان فني أول"، طشقند، دار "الفن" ١٩٧٦م، يوسف خاص الحاجب، "قوتادغو بيليك" طشقند، ١٩٧٢م (تقديم وتأليف ق. كريموف).

(٢١) د. حميد الله كرامتوف، "القرآن والأدب الأوزبكي" - طشقند، دار الفن، ١٩٩٣م، ص ٣١ - ٣٧.

(٥٦) رواه البخاري برقم ٢٨٢٣ و ٦٣٧٠.

(٥٧) هبة الحقائق ، ص ٦٧.

(٥٨) هبة الحقائق ، ص ٩٠ - ٩١.

(٥٩) د. حميد الله كرامتوف "القرآن والأدب الأوزبكي" ، طشقند، ١٩٩٤م، ص ٣٣١- ٣٣٢.

(٦٠) د. ناتن مالايف، تاريخ الأدب الأوزبكي - طشقند ١٩٧٦م، ص ١٦٩، عبد اللايف خ. أدباء خوارزم، اورغينتش ١٩٩٨م، ص ١٣.

(٦١) نصر الدين برهان الدين ربغوزي، قصص ربغوزي، طشقند ١٩٩٠م، المجلد الأول، ص ١٠.

(٦٢) قصص ربغوزي، المجلد الأول، ص ١١.

(٦٣) فضيلوف أ. ي. ربغوزي ومؤلفه "قصص ربغوزي" المجلد الأول، طشقند، ١٩٩٠م، ص ٧ - ٨.

(٦٤) قصص ربغوزي، المجلد الثاني، ص ١٠١.

(٦٥) قصص ربغوزي، المجلد الأول، ص ٥٩ - ٦٠.

(٦٦) قصص ربغوزي، المجلد الثاني، ص ٣٢.

(٦٧) قصص ربغوزي، المجلد الثاني ، ص ٥٥ - ٥٦.

(٦٨) قصص ربغوزي، المجلد الثاني، ص ٦٥ - ٦٦.

(٦٩) قصص ربغوزي، المجلد الأول، ص ١١٦.

(٧٠) نادرخان حسن "قصص ربغوزي" ، مجلة اللغة الأوزبكية وأدبها، ١٩٩٦م، العدد الرابع، ص ٢٨.

(٧١) أحمد يساوي ، "ديوان الحكمة" طشقند، ١٩٩١م، ص ١٩٨.

(٧٢) د. حميد الله كرامتوف، "القرآن والأدب الأوزبكي، طشقند، فان ١٩٩٣م، ص ٣٩.

(٣٩) ينظر علي شيرنوائي، طشقند، دار الأدب، ١٩٨٦م، ص ١٢.

(٤٠) Necib Asim. Hibetel- Hakayik- Istanbul, 1918, Necib Asim/Uygur uazis; e Hibetyl hakayikinodger bir n Shasi Turkiyat, 1925, I. 227- 233- S,
محمدوف ك. "هبة الحقائق" بحث في قواعد ومفردات اللغات التركية، طشقند ١٩٦٥م، ص ٢٠٤- ٢٠٧؛ أحمد يغناكي، هبة الحقائق، طشقند ١٩٦٨م.
Reisd Rahmet. Arat. Edib Ahmed Mahmyd Yykneki. Atebety'I - Ankara, 1992.

(٤١) أحمد يغناكي، "هبة الحقائق" ، طشقند، ١٩٧١م ، ص ٢٩- ٣٠.

(٤٢) هبة الحقائق ، ص ٣٢ - ٣٣.

(٤٣) هبة الحقائق ، ص ٤١.

(٤٤) هبة الحقائق ، ص ٤٣.

(٤٥) هبة الحقائق، ص ٥١.

(٤٦) رواه البخاري ، الجامع الصحيح، المجلد الأول ، ص ٢٠.

(٤٧) هبة الحقائق ، ص ٤٩.

(٤٨) رواه الترمذي برقم ٢٦١٦ وابن ماجة ٣٩٧٣ وأحمد ٢/ ٢٣٠ والحاكم ٢/ ٤١٢.

(٤٩) هبة الحقائق ، ص ٥٣.

(٥٠) رواه البخاري برقم ٦٤١٦ وأحمد ٢/ ٢٤ وابن ماجة برقم ٤١١٤ وابن حبان ٢/ ٤٧١.

(٥١) البخاري، الجامع الصحيح، المجلد الرابع، ص ٢٠٢.

(٥٢) هبة الحقائق، ص ٥٥.

(٥٣) رواه البخاري برقم ٦٤٢٧ ومسلم برقم ١٠٥٢.

(٥٤) رواه البخاري برقم ٦٤٤١ ومسلم برقم ١٠٣٤.

(٥٥) هبة الحقائق، ص ٦٣.

الفصل الخامس ...

الأدب الأوزبكي
في عهد التيموريين

١- تأثير القرآن الكريم على الأدب الأوزبكي:

- عطائي
- حافظ الخوارزمي
- سكاكي
- كدائي
- لطفي
- علي شير نوائي
- ظهير الدين محمد بابر العبيدي

٢- الحديث وإبداع علي شير نوائي.

٣- مكانة الإسلام في تطور القصة الشعبية الأوزبكية.

(٧٣) د. إبراهيم حقّولوف، "تصوف وفن الشعر"، طشقند، ١٩٩١م، ص ٣٥.

(٧٤) أحمد يساوي، الحِكم، ص ٤٢.

(٧٥) أحمد يساوي، الحِكم، ص ١١٢.

(٧٦) أحمد يساوي، الحِكم، ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٧٧) أحمد يساوي، الحِكم، ص ٢٠٦.

(٧٨) أحمد يساوي، الحِكم، ص ٢٠٦.

(٧٩) أحمد يساوي، الحِكم، ص ٢٠٩.

(٨٠) أحمد يساوي، الحِكم، ص ٢١٠.

(٨١) أحمد يساوي، الحِكم، ص ٢١٠- ٢١١.

(٨٢) د. ناتن مالايف، تاريخ الأدب الأوزبكي، طشقند، أوليتوفشي ١٩٧٤م، ص ١٦٠.

(٨٣) د. إبراهيم حقّولوف، "تصور وشعريات"، طشقند، ١٩٩١م، ص ٦٧.

(٨٤) "كتاب باقر غني"، ص ٢٦.

(٨٥) د. إبراهيم حقّولوف، د. سيف الدين رافيدينوف، سليمان باقر غني، "كتاب باقر غني"، طشقند ١٩٩١م، ص ٧.

(٨٦) كتاب باقرغني، ص ٤٠ - ٤١.

(٨٧) كتاب باقرغني، ص ٤٨ - ٤٩.

الفصل الخامس

الأدب الأوزبكي في عهد التيموريين

١- تأثير القرآن الكريم على الأدب:

من المعروف أنه بعد وفاة خاتم الأنبياء محمد صلوات الله وسلامه عليه، ظهر في كل مئة عام شخصيات عظيمة عملت على تدعيم الدين الإسلامي، ففي القرن الهجري الثامن نشر الأمير تيمور الدين في المدن وبين الشعوب، وكان يحترم ويجل نسل الرسول ﷺ وعلماء الدين[1]. فعلاً أقام الأمير تيمور، منذ البداية، سلطته على أساس الدين الإسلامي - دين محمد ﷺ - معتمدا في ذلك على ما جاء في القرآن الكريم، وكان في كل حملة من حملاته أو عمل من أعماله يسترشد بالتعاليم الإلهية، مكتسبًا منها القوة، ولذا قام في دولته بكل ما هو ممكن لحماية الدين الإسلامي، وكتب موصيًا أولاده وأحفاده كيفية التصرف وإدارة الدولة، فقال: " . . . أنا موقن أن الكثيرين منهم (أولاده وأحفاده) سيرثون مملكتي الواسعة، وهذا يدفعني لكتابة الوصايا لهم . . . وباتباعهم لهذه الوصايا بصرامة سيتمكنون من تثبيت تلك السعادة التي توصلت إليها بالكثير من الجهد والعمل والتعرض للأخطار، هذه السعادة التي منحني إياها الله في السماء، والتأثير الإيجابي لدين محمد عليه السلام، ومحبتي أحفاده وأنصاره القوية" . ويتابع قائلاً: " . . . وهذه الوصايا اثنتا

أما أنا فعينت قاضيًا للجيش وآخر للشعب، وأرسلت إلى كل مقاطعة عالمًا (شيخ الإسلام)، ليبعد المسلمين عن الأعمال المخالفة للقانون ويهتم بتعليمهم، وأمرت ببناء المساجد والمدارس الدينية والخانات في المدن، وخانات القوافل على الطرق والجسور على الأنهار.

وعينت في كل مدينة ممثلاً للدين وأناسًا مؤمنين لتدريس المسلمين القرآن الكريم، وشرح قواعد الدين الأساسية لهم انطلاقًا من تفسير العلماء والروايات الدينية.

لهذا بالتحديد كتب له المستشار الديني يذكره قائلا: "يجب على تيمور أن يذكر دائمًا أن إدارة الدولة هي شيء ما يثبته بإرادة الله تعالى"[٣].

وأمرت وزير الأوقاف (الصدر) والقضاة المدنيين بتقديم التقارير لي عن أعمالهم الخاصة بالدين (أي أن الدولة أصبحت تحت حماية الله العظيم)، عدا ذلك عينت رئيسًا للقضاة ليقدم لي تقارير عن المشاكل التي تقع بين الجنود وبين بقية المواطنين"[٤].

كان من الطبيعي في هذه الدولة التي حظي فيها الدين الإسلامي بأجل الاحترام، أن تصل العلوم والآداب والفنون إلى أوج ازدهارها، وفي هذا السياق كتب عالم الأدب ن. نارقولوف يقول: "... وهناك الكثير من عصور النهضة الدينية والثقافية في تاريخ

عشرة . . . ساعدتني للوصول إلى السلطة وفتح الدول وتثبيتها تحت سلطتي، وجعلت مني شخصًا جديرًا بالعرش.

١- لقد اهتممت بنشر دين الله وقوانين محمد ﷺ. . . وآزرت الإسلام في كل زمان ومكان"[٢].

وفي معرض حديثه عن أنه "بنى صرح مجده معتمدًا على الإسلام، مع إضافة بعض القواعد والقوانين" يعدد الأمير العظيم وصاياه فيقول:

"القاعدة الأولى التي ولدت في قلبي جذبتني لنشر الإسلام وتثبيت قوانين محمد ﷺ، لقد نشرت الإسلام في العالم، وجعلت من هذا القانون المتفوق بين الناس زينة أمبراطوريتي.

ولكي أضمن النجاح في زيادة عدد المؤمنين بدين محمد ﷺ اخترت من بين أحفاد هذا الرسول الشخص الأكثر تفوقًا وولية السلطة المطلقة على المسلمين (أي "الصدر" - وزير الأعمال الدينية)، وأسندت إليه إدارة الممتلكات المقدسة (أي الأوقاف)، وتعيين مدراء الجوامع (المتولي)، وتولىٰ أيضًا تعيين القاضي الأعلى في المدن والجوامع، وممثل الدين الأول (المفتي)، ومفتشي الأسواق (المحتسبون)، وعين أيضًا الرواتب ورواتب التقاعد لأمثاله ممن يعودون بنسبهم إلى رسول الله ﷺ، وكذلك العلماء ورجال القانون وكل الناس الجديرين بذلك.

ومقالات علمية لعدد من العلماء والذين درسوا الأدب بمنظار موضوعي جديد[٧].

ومن الواضح أنه لا يمكن لنا من خلال هذا البحث دراسة أعمال كل ممثلي الأدب في عصر التيموريين، لذلك سنتوقف عند بعض أعلام أدب ذلك العصر الأوزبكي.

عطائي:

قام عالم الأدب د. سيف الدين رافيدّينوف، بعد استقلال جمهورية أوزبكستان، بدراسة مؤلفات "عطائي" الذي احتل مكانة رفيعة في الشعر الأوزبكي في حينه[٨]، في بحثه "المجاز والحقيقة"، ويعطي هذا المؤلف معلومات عن اكتشافه لسبع وسبعين قصيدة لم تنشر من قبل، وقام بنشرها في مجموعة واحدة على حسابه، وبالرغم من أن عدد النسخ المنشورة قليل إلا أنها كاملة مع رسمها بالحروف العربية[٩]، في هذه المجموعة المعنونة باسم "ديوان شيخ زاده عطائي" نشر الأشعار الدينية التي أهملت في الإصدارات السابقة.

ومع بدء دراسته لأشعار عطائي كتب س. رافيدّينوف ما يلي:

"من المعروف أن الدين الإسلامي يدعو بالدرجة الأولى إلى الالتزام بالشريعة، وإلى التقوى والورع، ولكن عندما نتحدث عن

"توران" من بينها عصر تيمور والتيموريين، الذي يعتبر عصر النهضة في الشرق والذي يحتل في التاريخ منزلة خاصة"[٥].

ويتابع ن. نارقولوف أقواله، معتمدًا على أبحاث العلماء الآخرين الذين درسوا عصر التيموريين، ومكملاً أبحاثهم بشكل جوهري فيقول: "في تاريخ آسيا الوسطى، حسبما أشار ف.ر. مارتن، لم تقدر العلوم والفنون بالشكل الكبير، كما جرى هذا التقدير في عصر الحكام التيموريين. ويذكر هذا العالم (مارتن) وعدد آخر من علماء الفنون الأوربيين عددًا من التيموريين، من أمثال: ميرزا بايسقور، وشاه روح ميرزا، والوغ بك، والسلطان حسين ميرزا، الذين حموا العلوم بغيرة وكانوا من عشاق الكتب، وليس أدل على ذلك من أن سلالة التيموريين أنجبت خمسين شاعرًا وعالمًا، وتجدر الإشارة إلى أن الكتب التي ظهرت في عصر التيموريين، فاقت من حيث جودتها وقيمتها العلمية وإخراجها الفني الكتب الثمينة والرائعة في البلاد الأوروبية"[٦].

لقد جرت دراسة أدب عصر التيموريين في أوزبكستان على نطاق واسع ومعمق، إلا أن الموضوعات الدينية درست بشكل منمق تحت تأثير الأيديولوجية السوفياتية وفقًا لتعاليم الماركسية - اللينينية، أو لم تدرس مطلقًا بكل بساطة، وبعد حصول أوزبكستان على استقلالها بدأت دراسة هذا الأدب من كل نواحيه، وظهرت أبحاث

جاء في "قصص ربغوزي" أنه "بين جميع قصص القرآن الكريم فإن قصة يوسف هي الأكثر فائدة والأعمق معنى"، لأن هذه القصة "تنتهي بحب جارف"، وعلى كل من يود طرد الحزن والأشجان أن يقرأ سورة يوسف، ففي قصة يوسف كل ما هو ضروري لفعل ذلك"[١٢].

يمكن القول بثقة إن أكثر من نصف أشعار المجموعات الشعرية تذكر يوسف، ويعقوب، أو زليخة، وكذلك الأحداث المرتبطة بهم. وجرى التطرق إلى هذا الموضوع أيضًا في الكتاب الذي أصدره س. رافيدّينوف[١٣]، إلا أنه يشير فقط إلى أن نموذج يوسف هو الأكثر شيوعًا في أشعار الشاعر، وفي هذا الصدد يقول مؤلف البحث: "نحن نريد دراسة شخصية يوسف الواردة في الأشعار كشخصية شعرية فقط".

في ديوان عطائي أبيات مكرسة ليوسف أكثر بكثير مما جاء في أشعار سكّاكي، لطفي، وكدائي.

يبرهن عطائي لشخصية يوسف والأحداث المرتبطة به على مدى التأثير القوي لسورة يوسف المباركة عليه، وترينا أشعاره إلى أي مدى كان ملمًا بهذا الموضوع القرآني"[١٤].

برأينا هناك سببان اثنان دفعا بعطائي لتناول شخصية يوسف والأحداث المرتبطة بها بهذا الشكل الكبير.

الأشعار التي تغنت فنحن نقصد الموضوعين في الوقت نفسه؛ ففي أشعار عطائي تكمّل الشريعة مع التقوى والزهد بعضهما البعض ليشكلا توافقًا منطقيًا.

ومما لا يقبل الجدل أن الأفكار الأخلاقية - التربوية في الدين الإسلامي، أي في القرآن الكريم وفي الأحاديث الشريفة، وكذلك قواعدها الأخلاقية وجدت انعكاسًا لها في الأدب، واعتبرت مادة هامة في التربية الدينية للناس".[١٠]

وأورد س. رافيدّينوف في كتابه تحليلاً وافيًا لشعر عطائي في ضوء توجهاته الدينية، لذا سنتوقف بصورة مختصرة عند إبداع هذا الشاعر.

كتب عطائي مثله مثل شعراء الشرق مؤلفاته مستلهما القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وكان كثير من أشعار عطائي من نوع المناجاة والمدح و"النعت" التي تمجد الله تعالى وتمدح رسوله ﷺ.

بالنسبة للموضوعات القرآنية أولى عطائي اهتمامه بشكل أساسي لسورة "يوسف"؛ وذلك لأن الكثيرين من أدباء وشعراء العالم الإسلامي العظماء كانوا تحت تأثير الانطباع القوي لقصة يوسف، وألفوا الكثير من الروايات والأشعار حولها، وكتب علماء الدين مجلدات عديدة حول هذه السورة الكريمة[١١].

بأحاسيس يوسف.

يدور التفكير المجازي للمؤلف واستعماله للمقارنة حول شخصيتي يوسف وزليخة بشكل متكرر:

"معجبًا بشكل المحبوبة

لا تفرح بجدائلها وغمّازات خديها

ففي مصير الهائمين بيوسف

يختبئ الأسر وظلام الزنزانة" (١٧)

يشير تشبيه الجدائل بالأسر وغمّازات الخدود بالزنزانة بشكل مجازي هنا إلى موضوع الرواية القرآنية عن يوسف، إلى جانب ذلك، يظهر عطائي في أشعاره ارتباطًا محددًا بين الروايات القرآنية عن الأنبياء مثل نوح، وأيوب، وسليمان، والخضر، والمسيح (عيسى) والخليل إبراهيم (١٨).

حافظ الخوارزمي:

يرتبط أدب حافظ الخوارزمي، الذي عاش في العصر نفسه، بالمواضيع الدينية أيضًا، ولم يتعرف الشعب الأوزبكي على اسم وإبداع هذا الشاعر إلا مؤخرًا، منذ حوالي عشرين سنة، وذلك بعد أن تمكن المستشرق المعروف حميد الله سليمانوف من اكتشاف ديوان له خلال رحلته إلى الهند، وقام باحضاره معه.

السبب الأول هو كما سبق وأشـار د. سيف الدين رافيدّينوف هو إلهام الشاعر الكبير بسورة يوسف وتأثره بمحتواها.

السبب الثاني، يعود على الأرجح لحيـاة الشاعر الشخـصية، فيبدو أنه تعـرض للكثير من المعاناة والعذاب كيـوسف، لذا أصبحت شخصيته قريبة من شـخصية يوسف ومصيره، لكننا للأسف لا نملك حتى الآن، معلومـات وافية عن حياة عطائي، لذلـك لا يمكننا تأكيد فكرتنا هذه.

لنأخذ أمثلة على ذلك:

"في المدينة العظيمة (مصر) افتتنت زليخة بيوسف

أصاب حسنه زليخة للجنون، ورفعها في الأعالي"(١٥)

ويقول:

"أمامك، يا صديقي، قصة عن يوسف

والكل يقرأها كأنها حية باقية"(١٦)

إن حكاية يوسف بالنسبة للشـاعر عطائي، هي المنفذ الذي يمرر عبـره ألمه الشخـصي، وهي المفتـاح المنشود، الذي يفتـح قفل الروح المفعمـة بالمعاناة، لهذا يعبر عطائي عن ألمه القلبي عـبر صورة يوسف ولا يصل الشاعـر إلى التعبيـر المقنع والساطع عن هذه المعاناة القلبـية فقط، وإنما يلمح أيضًا إلى عمق وسمو قصة حبـه وأحاسيسه الشبيهة

عن ذلك يقول: "يقال: قسّم الله الجمال إلى ألف جزء وأعطى يوسف منها ٩٩٩ جزءًا وقسّم الجزء الباقي بين جميع الناس، وكان يوسف عندما يخرج من البيت ينخسف القمر وتنكسف الشمس، وعرف الناس في كل مكان بظهور يوسف وحاولوا رؤيته، وعندما كان يبتلع الطعام، كان بالإمكان رؤيته يمر عبر البلعوم، وعند ظهوره يتحول الليل الحالك إلى نهار مشمس. . . ".[٢٢]

وفي معرض وصفه لجمال حبيبته، يستعمل حافظ الخوارزمي المغالاة والمبالغة ويضع جمالها فوق جمال يوسف.

ويعرض ربغوزي في غزله هذه الفكرة بدقة أكثر فيقول:

"يا من يشع جمالك في صفحة السماء كالقمر

أنت شاه الجمال يوسف المصري، عبد الله الحق"[٢٣]

بما أن قصائد شعرائنا الذين عاشوا في عصور الازدهار ذات الطابع الديني، لم تنشر للأسف، في دواوينهم، فإننا لا نملك عن هذه القصائد معلومات وافية، ومن المفهوم أن ديوان غزل حافظ الخوارزمي لم يتضمن القصائد ذات المحتوى الديني وذلك بسبب سياسة العصر، ولكن بالرغم من ذلك سنحاول إلقاء الضوء على هذه القصائد مستعينين ببعض النصوص التي وقعت تحت أيدينا ونعطي تقييمنا لها.

كتب عالم الأدب الدكتور إبراهيم حقّولوف يقول: "عاش حافظ الخوارزمي بين القرنين الرابع والخامس عشر مع أشعار الأدباء الأوزبك. ويتوافق شعره من حيث الشكل والمحتوى والخصائص مع الأوزبك من أمثال كدائي، وعطائي، وسكّاكي ولطفي"[١٩].

وتعد عالمة الأدب المعروفة الدكتورة فاضلة سليمانوفا أن حافظ الخوارزمي الذي قضى الجزء الأكبر من حياته في شيراز كان أول من أدخل إلى الشعر الأوزبكي تقاليد الشعر الفارسي في مجال الغزل، ويمكن اعتبار حافظ، قبل علي شيرنوائي، شاعرًا غنائيًا لا يضاهى، خاصة في مجال الغزليات الرائعة، كما كان معلمًا في الإيقاع والرديف، وخلق النماذج الشعرية، ونادرًا ما استعمل في شعره الكلمات العربية والفارسية، إذ اعتمد على اللغة الشعبية بشكل كبير وأولى اهتمامًا كبيرًا بمفرداتها الحية، وخاصة الجمل النموذجية والحكم والأمثال السائرة"[٢٠].

ومثله مثل عطائي، تناول حافظ الخوارزمي مرات عديدة سورة "يوسف"، ذلك أنه:

"ليس عجبًا أن يقهر جماله كل المحبين، كالعبيد

فيوسف شاه الجمال وعبد الله الحق"[٢١].

من المعروف أن يوسف كان أجمل أهل الأرض. كتب ربغوزي

تستعـمل كلمتي "ماء الحياة" كـتعبير يشـار به إلى نبع الخضر المقدس، الذي وجده الخضر وفق الروايات الدينية في وسط آسيا.

في قصـيدة أخرى يشـبه حافظ الخوارزمي وجـه الحبيـبة بالجنة وشفتيها بنبع الجنة (الكوثر).

"جنة إرور يوزنغو لُعْلينْكدور آوبى كوثري"[٢٦].

هذا العـالم هو عالم الامـتحـان، خلقه الله كي يمتـحن إرادة عبـده، والإنسان العارف بذلك لا يـنجرف وراء مسـرات هذا العالم وملذاته، وإنما بالعكس يعدّ نفسه بأعمـال الخير للعالم الآخر - عالم الحياة الخالدة، وهذا ما يحدثنا به الشاعر فيقول:

هر كيم تيلاسه لذّت ديْداريني. إىْ دوست

لذّت تاحانْدين أوزي بيزار كيرا كدور

وفي بيت آخـر يحـمـد حـافظ الله عـز وجل الذي خلق هذا العالم من لا شيء:

بو مونجه بوق بولغانّي جو قيلدي صنع باري بار

بو قدرت ني كوروب حق حضرتيندان كار بار إزده

في الأبيات التـالية يتحـدث الشاعر عن علاقـة الإله - الخالق بعبده المؤمن، فيقول:

"ليس في قلبي سوى عبادة الله

فأمام الله ينهزم الشيطان الرجيم

لم يلق شعراء الشرق في إبداعهم الضوء على المواضيع القرآنية فحسب، وإنما أيضًا، غالبا ما استغلوا النماذج والتعابير والكلمات القرآنية والإلهية. فقاموا مثلاً بتشبيه قد الحبيبة بشجرة الجنة "التوبى - طوبى" (التي كانت كثيفة الأوراق، ذات ثمار عطرة مختلفة الألوان، وذات جذع مستقيم عالٍ فوق غيره). وشبهوا وجهها بالجنة وشفتيها بنبع القديس الخضر، والزغب فوق شفتها بالظلمة، وعينيها ودلالها بالعذراء القاسية، وغمازات خديها بالبئر الذي ألقي فيه يوسف. وقد أصبح هذا تقليدًا في الشعر الكلاسيكي. وكان رمز الجمال - يوسف، ورمز الحزن والغم - يعقوب، والصبر - أيوب، والجشع - قارون، والتضحية - المسيح. وهكذا، يجد حافظ الخوارزمي مثلاً قدّ حبيبته أجمل من جذع شجرة الجنة المستقيم فيقول في غاوٍ زائد:

"كل الكمال أمام كمالك في المرتبة السفلى

وقدك المشوق أجمل من شجرة التوبى"(٢٤)

في البيت التالي يجري تشبيه فم الحبيبة بماء الحياة، والزغب الناعم فوق الشفة وكأنه واقع في وسط الظلمة. وماء الحياة وفق الروايات الدينية مخبأ في مملكة الظلام والعتمة، وإذا استطاع أحد السعداء إيجاد هذا الماء سيحصل على الخلود: "شفتاك يا حبيبتي واللآلىء - هي ماء الحياة وحول نبع الخضر ذاك نرى العتمة"(٢٥).

سوف توزن في يوم القيامة، ويقول القرآن الكريم إنه سيجري أولاً حساب الملحدين والكافرين، ذلك لأن الله عز وجل سيكون عالما بكل أعمالهم وأفعالهم. فمن يملك كل شيء في ذلك اليوم؟ إنه الله الواحد الأحد، في هذا اليوم سيحاسب كل إنسان حسب أفعاله وأعماله.

يقول "سكاكي" عن هذا في أشعاره:

بولسه قيامت بارجادين قيلغان إيشين سوركوسودور

آرقيلْ تفاو جورني، مونجا فراوان أيلامه

يعني:

في يوم القيامة يُسأل كلٌّ عن أفعاله قَلّل سيئاتك وفكّر فيها.

والبيت الذي يذكّر الناس أن حياة الإنسان فانية؛ فهي مؤقته وكل سيحين أجله. لكن إذا كان هذا المصير هو الطريق إلى العالم الآخر (الموت حق) فهل هناك منطق في أن عبد الله يشعر بالسعادة حين يشرب شراب المنون؟ يقول الشاعر:

شاد بولْما أولْدي تيو عاشق مسكين

بارجه كاتوزي كيلْكوسيدا دوْر أياقي

هذا ما جاء في الآية الخامسة والثلاثين من سورة الأنبياء الشريفة: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

إذا رغبت في كلام قيم، اقرأ الكتاب

فينشرح قلبك من لآلىء الأفكار" [٢٧]

في البيت الأخير يجري الحديث عن كنز المعرفة الذي يحويه القرآن الكريم، وليس هذا فقط، فمن المعروف أن "كتاب الكتب" مكتوب بلغة إلهية روحية، وهذا يعني أن هذا الكتاب بشكله وبمحتواه كامل وخال من العيوب.

ويتحدث البيت التالي عن بقاء الله وعن هذا العالم الفاني:

"هذا العالم لا يقارن بعظمته تعالى

فهو باقٍ وهذا العالم فان" [٢٨]

سكّاكي:

كما لدى كل شعراء الشرق المسلم ملئ إبداع "السكّاكي" بالمحتويات والمواضيع الدينية.

من المعروف أن "سكاكي" عاش وعمل في عاصمة التيموريين - سمرقند، و"سكاكي" هو لقب الشاعر وقد جاء من كلمة "السكاك" وهو الذي يصنع السكاكين، ومن هنا نستنتج أنه ولد في عائلة حرفي حداد[٢٩]، ويعد "سكاكي" من ممثلي شعراء عصر ألوغ بك، وكان شاعرًا شهيرًا في ذلك العصر.

إن كل ذنوب وحسنات عبيد الله، وفق التعاليم الإسلامية،

من المعروف أن الله عز وجل وهب النبي سليمان ثروات لا تحصى، وأخضع له جميع مخلوقات الأرض وحتى الطير والهواء، لقد أخضع الله عز وجل لسليمان الهواء الذي يقطع في الصباح مسيرة شهر وفي المساء مسيرة شهر، وجعل له بئرًا نحاسية، ووضع تحت سلطته الجن يخدمونه.

في البيت التالي يشبه "سكاكي" وجه المحبوبة المحاط بخصلات الشعر بكنوز سليمان، التي داس عليها أمرامان (البداية الشريرة في الزرادشتية):

يوز أزرا جوبيا زلفينك سليمان ملكيني توتموش

أول أهرامان نينك إيلكيدن حزاراان آهو واويلي

يعني:

لقد زاد شعرك المجعد في جمال وجهك

حتى فاق كنوز سليمان التي سرقها أهرامان

في قصيدته المكرسة لأولوغ بك، يشبه الشاعر هذا حكمة العالم الفلكي العظيم والحاكم الحكيم بحكمة النبي سليمان عليه السلام:

جهان دن أهرامان كيتيب، مسخر بولغائي إنس جان

كيم أول تحتيني ييل كوتاريب، سليمان زمان كيلدى

يعني:

يشير "سكاكي" في أشعاره الغـزلية إلى القصص المرتبطة بأسماء قارون، ويعقـوب، ويوسف، وعيسى، وسليمـان، وداوود، وغيرهم ممن وردت أسماؤهم في القرآن الكريم . فيقول:

"في كل نفحة من نفحات أنفاسك - نفس عيسى

فتذكرينا، يا عالية الأخلاق، إذا أحسست بالعذاب" (٣٠)

"في أيام عيـسى، عليه السلام، تطورت المعـالجة (الطب) إلى حد أنها اعـتبرت أنه لا توجد في الكـون أمراض غير قابلة لـلشفاء، عندئذ جاء النبـي عيسى وقـام بما لم يقدر عليه المعـالجون؛ لقد أحـيا الميت! ولهذا ضم القرآن الكريم إلى اسم عـيسى لقب "المسيح"، أي أن عيـسى بعث الروح في جسد الميـت بأنفاسه أو بلمـسة من يده"، وهذا إنما يدل على المغالاة وشطحات خيالية من الشاعر.

في هذا البيت يشتكي الشاعر من أن شفاه الحـبيبة، باعثة الحياة (المسـيح) لم تسأل عن مـصيـره ونسبتـه. وتجدر الإشـارة هنا إلى أن الأدب الكلاسيكي الشرقي يشبه الحبيبة وفمها الباعث للحياة بالمسيح:

في بيت آخر يسأل "سكاكي" الشفاء فيقول:

"يا مسيحي، هبني الشفاء ولو للحظة

فقد أُصيبت روحي بالمرض" (٣١)

جرحت الفؤاد بخيبر، وبهذا يعبر الشاعر عن أن الحبيبة الجميلة تسبب له العذاب أكثر مما تسبب به أهل خيبر للمسلمين.

كـدائي:

يمكن أن نجـد مثل هـذا الوصف في غزليـات "كـدائي" فقـد اعتـمد الأدب الشرقي تقليـد التشـبيه المجـازي، وذلك عندما يصف المحب عيون حبيبته الجميلة، ويشبه خصلات شعرها بالحبال والأغلال على جسـد البطل العاشق، الذي كان حـبه من طرف واحد، ومـثالاً على ذلك نورد هذا البيت من أشعار حافظ الخوارزمي:

قيلامن داد كورلا رينكْدان

نبجاكيم قيلسا بوجانمكا بيداد

يعني:

عذاب لي عيونك الشاطرة

تكثر العذاب عيونك الجميلة

"إن مولانا كدائي هو أيضًا من ممثلي الشعر الأوزبكي الموهوبين في القـرن الخامس عـشر، ويعـود تاريخ ميـلاده إلى ٨٠٦- ٨٠٧هـ (١٤٠٣ - ١٤٠٤م)، وقد عـاش حتى نهايـة القرن الخامس عـشر، مكرسًا حياته للشعر والإبداع، وقـد أمضى الجزء الأكبر من حياته في هرات"[٣٢].

هرب (ذهب) أهرامان من العالم فارتاح الإنس والجن من شره عندما جاء (النبي) سليمان وجلس على العرش.

في هذه السطور يشبه الشاعر وصول أُلوغ بك إلى العرش بوصول رياح سليمان إلى العرش، واستتباب الأمن والهدوء بكيفية اضطرار اهرامان لترك هذا العالم. وطبعًا، إن تشبيه أُلوغ بك بسليمان يقصد به حكمه العادل.

في هذه القصيدة يشير "سكاكي" إلى أن رحمة الوغ بك كانت بالنسبة لرعاياه كرحمة موسى عليه السلام؛ فهو راعٍ بسيط وطيب:

رَئيَتْ قوىْ إيرور، سلطان أنغا جيوبان يا بوري

بوري أولغاي قوىْ ثينكاىْ، جو موسي ديك شبان كيلدى

يعني:

أن الشعب رعيَّة، وعندها يكون السلطان إما راعيًا أو ذئبًا ونرى أن الرعيَّة عاشت ومات الذئب لأن السلطان كان راعيًا يحميها مثل موسى «عليه السلام».

غالبًا ما استعمل "سكاكي" في أشعاره عبارة "كفّار خيبر".

ويشار هنا إلى فتح خيبر في أيام رسول الله محمد عليه السلام.

ويشبه "سكاكي" خصلات شعر الحبيبة القاسية وعيونها التي

ويسعى من خلالها لتحقيق فكرته الشعرية، وهكذا يشبه الحبيبة - كلامها، وأنفاسها، ويدها بالمسيح (عليه السلام) معبرًا بذلك عن أنوثتها الباعثة للحياة:

"حديثك الساحر فَيْض من عجائب المسيح

ومن سحر هذا الحديث يتعجب الكون"[٣٦]

في هذه السطور يقول الشاعر بأن حديث الحبيبة جزء من أعاجيب المسيح، وهذا الكلام الرائع يجعلنا نقف مشدوهين أمام عظمة الخالق، ومن الواضح هنا أن الشاعر يعبر عن حبه لله الخالق.

في البيت التالي يصف الشاعر بشكل مضخم حديث حبيبته وكأنه يعيده إلى الحياة:

معجز عيسى كلامينكنينك بيانيدور، ديدي

إيْ مسلمان لار، ميني أولْ لطف كفتار أولْديرور[٣٧]

ويصل الشاعر في البيت التالي إلى وصف رائع وعجيب مستخدمًا الشخصيات القرآنية:

أولْ نقطه كيم، خط إيجرا توشوبدور عقيق أوزرا

حضر مسيح همدم كويا بلال ايرور[٣٨]

في هذا البيت يوضح الشاعر قدرة محبوبته على بعث الحياة فيه المستمدة من قدرة عيسى عليه السلام في إحياء الميت، أما الزغب فوق

"مولانا كدائي - مؤلف معروف، كتب باللغة الأوزبكية التركية، ووصلت أشعاره إلى أوجها في أيام بابر ميرزا، وكتب في نوع واحد من فنون الأدب، وقد اشتهر بشكل خاص بمطالعه الثنائية:

"يا روحي المجنونة، لقد خُبِلت من جديد

من وله القلب هذا، تجندلت الروح من جديد"

وهذا مطلع أيضًا:

"يا ساحرة القلب، الحياة من دونك مُرَّة

أمام مرض حبك، صرعت الموت مئة مرة"[٣٣]

كتبت الدكتورة سيومة غنييفا حول خصائص شعر هذا الشاعر فقالت: "كدائي اختار شعر الوصف البسيط، ولم يعمد إلى الأسلوب المنمق والأشكال المجردة المعقدة والمحيِّرة.

كانت لغة شعره الغزلي ناعمة وواضحة وقريبة جدًا من العامية[٣٤] في بعض أشعاره لا يشبه كدائي عيني حبيبته وخصلات شعرها ودلالها بكفار خيبر وإنما يشبهها بالكافرين فقط:

"خصلات شعرك تنهش وتعذب روحي بوحشية

لايمكن لمسلم أن يفعل مثل هذا أو كافر"[٣٥].

غالبًا ما يلجأ كدائي في غزله إلى الشخصيات المعروفة مثل النبي محمد، ونوح، وإبرهيم، والخضر، ويوسف (عليهم السلام)

من الخلود[٤٠].

وفي أبيات القصيدة التالية يصبح خال الحبيبة كحجر الزمرد على حافة نبع الخلود:

الله، الله، ني عجب بيرحال زبا كورنادور

أولْ زمردْ كيم، كوكرميش جيشماى خيوانينا[٤١]

في قصيدة أخرى يورد كدائي وصفًا رائعًا لسحر حبيبته:

"ما هذه الشفاه" ما هذه العجائب والسحر لديها

إذا تكلمت، كأني بماء الخضر يندلق من بين شفتيها"[٤٢]

وكما سبق وذكرنا فإننا نجد في نتاج الشاعر أسماء الكثير من الأنبياء كنوح وإبراهيم ويوسف وسليمان عليهم السلام، إلى جانب ذلك يستعمل كدائي كلمات وجملاً عربية وكذلك آيات من القرآن الكريم، إلا أنه لا يمكننا التوقف عند هذا الموضوع بالتفصيل لبيان مدى واقعية هذه القصص والحكايات من عدمها.

لطفي:

في معرض حديثه عن شاعر موهوب آخر من عصور الازدهار، الشاعر لطفي الذي سمي "مالك الكلام"، كتب المستشرق المعروف ي. أ. برتلس يقول: "مع لطفي توصلت القصيدة الأوزبكية

الشفة فينسب إلى الخضر لسببين: الأول: من المعروف أن النبع الذي وجده الخضر - نبع الخلود - مخبأ في مملكة الظلام، ويرى الشعراء أن الزغب يلقي بالظل على نبع ماء الحياة، وثانيًا: إن الخضر هو تجسيد للشباب الخالد، لأول أعشاب الربيع، لهذا فإن الزغب فوق شفة الحبيبة يشبه بالحشائش الخضراء التي بدأت النمو لتوها، وتعد هذه القصة من الأساطير الشعبية الأزوبكية.

أما اسم بلال فيعني الصحابي بلالاً الحبشي، أول العبيد الذين اعتنقوا الإسلام، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ الأتقياء، وهو أول مؤذن في الإسلام، وفي أيام الرسول ﷺ كان بلال يقوم دائمًا بالأذان.

والخضر شخصية دينية، نجدها في أدبيات شعوب كثيرة. وتفيد الروايات أنه بحث عن ماء الحياة ووجده.

وهناك آراء مختلفة حول الخضر، فبعض الرواة ينسبون إليه نصرة المحبين، أي أنه نصير المحبين. فمثلا كتب العالم الأذربيجاني المعروف حميد آراسلي: "بعد أن شرب الخضر، حسب الروايات من ماء الحياة أصبح خالدًا، وهو يعتبر شخصية تقدم العون للمحبين"[٣٩].

في أحد أشعاره الغزلية يستعمل كدائي التشبيه المجازي فيقول إن الخضر ليس بحاجة إلى نبع الخلود لأن كل لقاء مع العشاق أكبر

فإذا كان لاحد منا صبر أيوب فليس له في العمر حياة نوح[٤٦]

لكي نفهم مضمون هذا البيت يجب أن نكون على دراية بروايات القرآن الكريم عن أيوب ونوح عليهما السلام، وإلا فسيبقى هذا البيت غامضًا بالنسبة لنا في وسط آسيا.

وهكذا يفهم أنه إذا كان النبي أيوب بطل الصبر، فإن النبي نوح مثال الحياة الطويلة.

وفي عدد من قصائده يلجأ لطفي للقصة القرآنية عن يوسف عليه السلام:

"ستسمعون كلمات قادمة من مصر

من بلاد يوسف، مسكن الأحزان"[٤٧]

ويعبر لطفي شعرًا عن الجمال الذي وهبه الله ليوسف:

"لقد منحت أبهى جمال، بحب إلهي

وخلق لك الله صورة عنه عند خلق العالم"

يلاحظ في مؤلفات الشاعر تأثير الزهد الذي كان منتشرًا على نطاق واسع في تلك الأيام، فلقد خلق الله العالم كامل الجمال كي يمتلك الإنسان في أحضان هذا الجمال شعور معرفة الكون، وكي يكون شعور الحب في داخله أقوى من كل الأحاسيس ممّا يدفعه

القديمة إلى أول انتصار مهم لها، لقد دخل لطفي في مباراة مع أفضل شعراء الفرس وخرج من هذه المباراة منتصراً"[٤٣].

ووفقًا للمعلومات التي جاءت في مخطوطة الشيخ أحمد طرازي التي عثر عليها مؤخرًا والمسماة: "فنون البلاغة"، أكد العالم الباحث في الأدب الأستاذ الدكتور عبد القادر خائتميتوف غائيتميتوف أن مولانا لطفي هو في الأصل من طشقند (لطفي الشاشي)، ثم انتقل إلى هرات، حيث أمضى حياته في قرية "داخي كانور" القريبة من هرات"[٤٤].

جرت دراسة نتاج لطفي في الأدب الأوزبكي بشكل واف[٤٥]، إلا أن الاتجاه الديني في شعره لم يدرس حتى يومنا هذا، ولم يتضمن ديوانه المنشور الكثير من قصائده الدينية، وأسباب ذلك معروفة، إذ لم يكن بإمكان لطفي الابتعاد في نتاجه عن أيديولوجية عصره - الإسلام، وطبعًا نحن لا نملك الإمكانية لدارسة الاتجاه الديني في قصائد لطفي من مختلف الجوانب، لكن لابد لنا أن نتوقف عند بعض الجوانب الدينية التي عكستها هذه الأشعار.

يجب القول أولاً إن إبداع لطفي كإبداع سابقيه يذكر فيه كثيراً أسماء الأنبياء. وهذا البيت مثال على ذلك:

"لا تتركنا في لهب الانتظار أنعم علينا بالسكينة، ياروح

للإبقاء على الوصل بين العلاقات الاجتماعية والطبيعية الحيَّة، لكن كل شيء في الحياة مؤقت، ومؤقتة هي هذه الحركة الدائمة، وكما فصول السنة في الطبيعة، تستبدل حياة الإنسان بشروق، وغروب، وعلى هذا يعيش البطل في أشعار لطفي مفعمًا بشعور الرضى بهذا الجمال والخيرات، التي منحه إياها الله عز وجل، ولذا يقول لطفي: "يجب على الجميع أن يعيشوا حياتهم الفانية بشكل جميل وشاكرين"[٤٨].

علي شيرنوائي:

في النصف الثاني من الثمانينيات، بدأت بفضل العلانية الخطوات الأولى في دراسة نتاج علي شيرنوائي على أساس المفاهيم الجديدة والتقدير الشامل، وبعد الاستقلال توبع العمل على هذا الخط واكتسب أبعادًا جديدة.

وألف علماء الأدب د. عليبيك رستموف، ود. عبد القادر خائيتميتوف، ود. عزيز قيّوموف، ود. نجم الدين كميلوف، والدكتور ر. وحيدوف، ود. محمد إمام نظروف، ود. إبراهيم حقّولوف، ود. سلطان مراد عالم، ود. نصرة الله جمعه خوجه - ألفوا عددًا من الأبحاث والمقالات حول إبداع الشاعر العظيم في جميع المجالات، بما في ذلك الجانب الديني، مما أدى إلى ظهور دراسات جديدة عن أدب نوائي.